الفصل الثالث
مناقشة نصوص أدلة ألوهية المسيح

المبحث الأول: الميلاد العذري

ميلاد المسيح الفائق نواميس الطبيعة جعله في رتبة الله بل جعله الله نفسه. فهل يصح هذا؟ إن المطلع على الكتاب المقدس يدرك أنه بهذا الاعتبار فإن هناك من هو أولى بالألوهية من المسيح عليه السلام.

جاء في سفر التكوين في قصة آدم عليه السلام: (وَجَبَلَ الرَّبُّ الإِلهُ آدَمَ تُرَاباً مِنَ الأَرْضِ وَنَفَخَ فِي أَنْفِهِ نَسَمَةَ حَيَاةٍ. فَصَارَ آدَمُ نَفْساً حَيَّةً...18وَقَالَ الرَّبُّ الإِلهُ: «لَيْسَ جَيِّداً أَنْ يَكُونَ آدَمُ وَحْدَهُ فَأَصْنَعَ لَهُ مُعِيناً نَظِيرَهُ». 19وَجَبَلَ الرَّبُّ الإِلهُ مِنَ الأَرْضِ كُلَّ حَيَوَانَاتِ الْبَرِّيَّةِ وَكُلَّ طُيُورِ السَّمَاءِ فَأَحْضَرَهَا إِلَى آدَمَ لِيَرَى مَاذَا يَدْعُوهَا وَكُلُّ مَا دَعَا بِهِ آدَمُ ذَاتَ نَفْسٍ حَيَّةٍ فَهُوَ اسْمُهَا. 20فَدَعَا آدَمُ بِأَسْمَاءٍ جَمِيعَ الْبَهَائِمِ وَطُيُورَ السَّمَاءِ وَجَمِيعَ حَيَوَانَاتِ الْبَرِّيَّةِ. وَأَمَّا لِنَفْسِهِ فَلَمْ يَجِدْ مُعِيناً نَظِيرَهُ. 21فَأَوْقَعَ الرَّبُّ الإِلهُ سُبَاتاً عَلَى آدَمَ فَنَامَ فَأَخَذَ وَاحِدَةً مِنْ أَضْلاَعِهِ وَمَلأَ مَكَانَهَا لَحْماً. 22وَبَنَى الرَّبُّ الإِلهُ الضِّلْعَ الَّتِي أَخَذَهَا مِنْ آدَمَ امْرَأَةً وَأَحْضَرَهَا إِلَى آدَمَ. 23فَقَالَ آدَمُ: «هَذِهِ الآنَ عَظْمٌ مِنْ عِظَامِي وَلَحْمٌ مِنْ لَحْمِي. هَذِهِ تُدْعَى امْرَأَةً لأَنَّهَا مِنِ امْرِءٍ أُخِذَتْ)[1].

من خلال هذا النص الذي يؤمن به المسيحيون نجد أن آدم وحواء ليس لهم أب ولا أم، وعليه يفترض أن يكونا إلهين قبل المسيح، وفي هذا يقول الإمام ابن القيم: "وإن قلتم: إنما استدللنا على كونه إلها بأنه لم يولد من البشر، ولو كان مخلوقا لكان مولودا من البشر، فإن كان هذا الاستدلال صحيحا فآدم إله المسيح، وهو أحق بأن يكون إلها منه لأنه لا أم له ولا أب له والمسيح له أم، وحواء أيضا اجعلوها إلها خامسا لأنها لا أم لها، وهي أعجب من خلق المسيح"[2]. وهو الشأن نفسه بالنسبة لملكي صادق[3] فهو أيضا لا أم له ولا أب (فإنَّ مَلكيصادَقَ هذا هو مَلِكُ شَليم وكاهِنُ

---

(1) سفر التكوين2/18،7-23.

(1) "هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى"، ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد أحمد الحاج، الناشر: دار القلم- دار الشامية، جدة – السعودية، ط1، 1996، ص: 492.

(3) ملكي صادق شخصية كتابية غامضة، واسمه معناه: "ملك البر" وأيضا "ملك السلام"، ينظر "دائرة المعارف الكتابية"، مجلس التحرير: دكتور صموئيل حبيب، القس منيس عبد النور،

اللهِ العَلِيّ، خَرَجَ لِمُلاقاةِ إبراهيمَ عِندَ رُجوعِه، بَعدَما كَسَرَ المُلوكَ، وبارَكَه،2 ولَه أدَّى إبراهيمُ العُشْرَ مِن كُلِّ شَيء. وتَفسيرُ اسمِه أوَّلا مَلِكُ البرّ، ثُمَّ مَلِكُ شَليم، أي مَلِكُ السَّلام.3 ولَيسَ لَه أبٌ ولا أُمٌّ ولا نَسَب، ولَيسَ لأيَّامِه بِداية ولا لِحَياتِه نِهايَة، وهو على مِثالِ ابنِ الله... ويَبْقى كاهِنًا أبَدَ الدُّهور)[1].

هكذا يظهر أن الميلاد بدون أب لا يجعل من الإنسان إلها، والمسيحيون أنفسهم لم يقولوا بألوهية آدم وحواء وملكي صادق، وكان الأولى القول بألوهيتهم بدل المسيح عليه السلام. هذا مع العلم أنه لا يوجد نص عند المسيحيين في الكتاب المقدس يقول إن من ولد بغير أب فهو إله ليؤكدوا به اعتقادهم.

نبوءة إشعياء:

وفي إطار الميلاد العذري أنتقل إلى قضية جد مهمة ومتعلقة بنبوءة إشعيا عن ولادة المسيح من عذراء.

جاء في إشعيا (وَلَكِنْ يُعْطِيكُمُ السَّيِّدُ نَفْسُهُ آيَةً: هَا الْعَذْرَاءُ تَحْبَلُ وَتَلِدُ ابْناً وَتَدْعُو اسْمَهُ «عِمَّانُوئِيلَ»)[2].

هذا النص يعتبره المسيحيون من بين أقوى النصوص التي حواها العهد القديم للبشارة بمولد المسيح من عذراء.

يقول مجدي صادق:"وهذه الآية بالذات ترجمها سمعان الشيخ وهو من علماء اليهود المشاركين في ترجمة العهد القديم إلى اليونانية في القرن الثالث قبل الميلاد وكان مكلفا بترجمة سفر إشعياء النبي فلما وصل إلى الآية " ولكن يعطيكم السيد نفسه آية ها العذراء (העלמה) (ها عيل ماه) تحبل وتلد ابنا وتدعو اسمه عمانوئيل ارتبك وتحير متفكرا كيف يمكن لعذراء غير متزوجة أن تلد ويكون مولودها هو الله نفسه الذى يعطى نفسه آية، وتفكر في نفسه قائلا أن العذراء يستحيل أن تحبل وتلد فأراد أن يكتب عوضا عنها كلمة "الفتاة" فأوحى الروح القدس إليه أنه لا يرى الموت قبل أن يرى مسيح الرب مولودا من عذراء"[3].

يرى الكاتب أن سمعان الشيخ كان من المترجمين الذين ترجموا العهد القديم إلى اليونانية، وأنه كان مكلفا بترجمة سفر إشعيا.

دكتور القس فايز فارس، جوزيف صابر، المحرر وليم وهبة بباوي، نشر دار الثقافة، ، م7، ص: 222.

(1) رسالة بولس إلى العبرانيين7/1-3.

(2) إشعيا14/7.

(3) "شهود يهوه والمؤامرة الماسونية"، مجدي، 53.

إن هذا قول باطل لأن كل مترجم كان مكلفا بالعهد القديم كله وليس بسفر واحد. وحول هذه القصة تقول سلوى ناظم: "تعرف الترجمة اليونانية باسم السبعينية: interpretio Septuaginta Senirum أي ترجمة السبعين رئيسا"[1].

وسبب هذه الترجمة يرجع إلى القصة الآتية: "أن بطليموس الذي حكم مصر أمر بترجمة التوراة إلى اليونانية، في مقابل إطلاق سراح ما يقرب مائة ألف سجين يهودي، كان أبوه (بطوليمي صوطي) قد سجنهم.

وقيل أيضا إن أمين مكتبة الإسكندرية Démetrius بعث إلى الملك بطليموس رسالة يخبره فيها بأن لليهود كتابا تستحق المكتبة الملكية أن يكون من بين الكتب التي تملأ رفوفها ووافق الملك على ذلك، وقرر إطلاق السجناء مقابل ترجمة العهد القديم لليونانية"[2].

تقول سلوى ناظم: "وقد جعل بطليموس مسكنا خاصا لكل عالم وحظر عليهم الاجتماع فيما بينهم.... وحيث هناك العزلة والهدوء قام الاثنان سبعون عالما بإتمام الترجمة في اثنين وسبعين يوما"[3].

هكذا يتضح أن كل مترجم كلف بالعهد القديم كله وليس بسفر مستقل، وهذا ما يدحض قول مجدي صادق. وتجدر الإشارة إلى أن هناك باحثين مثل: Richard Simon اعتبروا القصة مجرد أسطورة وأنها من العادات التي تميز بها اليهود والمتمثلة في اختلاق القصص العجيبة والأساطير الغريبة والمعجزات الخارقة التي يحتاج الشعب اليهودي إليها، ويجب سماعها، حتى يصدق صحة الأمور الدينية. ولما كان Aresté أحد اليهود الذين يعرفون العقلية اليهودية، لجأ إلى هذه الأسطورة لتلقى الترجمة السبعينية قبولا بين أوساط اليهود"[4].

ثم إن قول مجدي صادق عن سمعان فأراد أن يكتب عوضا عنها كلمة "الفتاة "فأوحى الروح القدس إليه أنه لا يرى الموت قبل أن يرى مسيح الرب مولودا من عذراء. بمعنى أن الروح القدس كان حاضرا ومعينا للمترجمين. وهذا خطأ، يقول إدريس اعبيزة:"ثم إن هذه الترجمة لم تكن هي الوحيدة باللغة اليونانية، بل إن بعض

---

(1) "الترجمة السبعينية للعهد القديم بين الواقع والأسطور"ة، سلوى ناطم، ص: 16.

(3) هذه هي القصة باختصار ولمن أراد التوسع ينظر كتاب: "مدخل إلى دراسة التوراة ونقدها مع ترجمتها العربية لسعديا كؤون الفيومي"، ادريس عبيزة، نشر مكتبة الأمان الرباط، ص: 147-148.

(3) "الترجمة السبعينية للعهد القديم بين الواقع والأسطورة"، ناظم، ص: 16-17.

(4) "تاريخ وعقائد الكتاب المقدس بين إشكالية التقنين والتقديس دراسة في التاريخ النقدي للكتاب المقدس في الغرب المسيحي"، يوسف الكلام، ص: 128 ، نقلا عن ، Richard Simon.

المؤرخين وبعض نقاد التوراة والمترجمين رأوا في الترجمة السبعينية بعدا عن النص العبري، فقاموا بوضع ترجمات يونانية أخرى. لتفادي الأخطاء التي وقعت فيها الترجمة السبعينية"[1]. إذا، الترجمة السبعينية فيها أخطاء، وعليه فلا معنى لقول مجدي الصادق.

أنتقل إلى ترجمات الكتاب المقدس لبيان مدى إلتزامها بكلمة "العذراء":

- الترجمة اليسوعية: (فلِذلك يُؤتيكُمُ السَّيِّد نَفْسُه آيَةً: ها إنَّ الصَّبِيَّة تَحمِلُ فتَلِدُ آبناً وتَدْعو آسمَه عِمَّانوئيل).

وعلقت في الهامش بالقول: (إن اللفظ العبري علمه يدل إما على صبية، وإما على امرأة لم يمضي زمن طويل على زواجها).

- الترجمة العربية المشتركة: (ولكنَّ السَّيِّدَ الرّبَّ نفْسَهُ يُعطيكُم هذِهِ الآية: ها هيَ العذراءُ تحبَلُ وتلِدُ اَبنًا وتدعو اَسمَهُ عِمَّانوئيلَ).

وعلقت في الهامش: "العذراء أو المرأة الصبية زوجة الملك، ويوسف زوج مريم لم يكن ملكا وإنما كان نجارا".

- الترجمة الفرنسية:

(Ah certes! Le Seigneur vous donne de lui- même un signe: Voici, la jeune femme est devenue enceinte, elle va mettre au monde un fils qu'elle appellera Immanou

الفرنسية سمتها بـ: المرأة الشابة، la jeune femme .

- التوراة العبرية: (לָכֵן יִתֵּן אֲדֹנָי הוּא, לָכֶם--אוֹת: הִנֵּה הָעַלְמָה, הָרָה וְיֹלֶדֶת בֵּן, וְקָרְאת שְׁמוֹ, עִמָּנוּ אֵל).

هذه ترجمات مختلفة يتبين من خلالها أن ربط كلمة العذراء بمريم لا يستقيم كما تشهد النصوص أعلاه. فكل ترجمة تختلف عن الأخرى وليس فيها عذراء.

رغم ذلك فهم يربطون النص بالعذراء مريم وأن الله المتكلم نفسه يصبح آية يقول يعقوب ملطي عن العدد موضع التحليل: "الآية التي يُريد الرب أن يهبها لكل مؤمن هي أنه يعطي ذاته "عمانوئيل[2]". يريد القول أن عمانوئيل هذا هو الله نفسه.

---

(1) "مدخل إلى دراسة التوراة ونقدها مع ترجمتها العربية لسعديا كؤون الفيومي"، ادريس عبيزة، ص: 150.

(1) http://st-takla.org/pub_Bible-Interpretations/Holy-Bible-Tafsir-01-Old-Testament/Father-Tadros-Yacoub-Malaty/27-Sefr-Asheia/Tafseer-Sefr-Ash3eia2__01-Chapter-07.html

الملاحظة الأولى إذا، هذا القول صراحة يعد مفتاحا حقيقيا لكشف التلاعب في النصوص، ففي ترجمة الفاندايك نجد (وَلَكِنْ يُعْطِيكُمُ السَّيِّدُ نَفْسُهُ آيَةً: هَا الْعَذْرَاءُ تَحْبَلُ وَتَلِدُ ابْناً وَتَدْعُو اسْمَهُ «عِمَّانُوئِيلَ»).

لكن بالعودة إلى بعض الترجمات نجد ما يفضح التحريف، وأذكر من ذلك:

الترجمة العربية المشتركة: (ولكنَّ السَّيِّدَ الرّبَّ نفْسَهُ يُعطيكُم هذِهِ الآيـة: هـا هـيَ العذراءُ تحبَلُ وتلِدُ اَبنًا وتدعو اَسمَهُ عِمَّانوئيلَ).

العهد القديم ترجمة بين سطور عبري عربي: (ولكنَّ السَّيِّدَ الرّبَّ نفْسَهُ يُعطيكُم هذِهِ الآية: ها هيَ العذراءُ تحبَلُ وتلِدُ اَبنًا وتدعو اَسمَهُ عِمَّانوئيلَ).

التوراة العبرية: قالت يعطي لكم آية (לָכֶם—אות).

هذه النصوص تنفي قول يعقوب ملطي القائل بأن الله هو نفسه الآية. لكن الترجمات فضحت تفسيره. فالنص واضح أن الله يعطي آية أو علامة أو إشارة.

يضيف يعقوب ملطي في موضوع العذراء قائلا: "الكلمة العبرية المستخدمة لعذراء هي "آلما "Alma وليس بتولية "ولا "ايشا"، فإن كلمة"آلما" تعني عذراء صغيرة يمكن أن تكون مخطوبة، أما "بتولية" فتعني عذراء غير مخطوبة بينما إيشا تعني سيدة متزوجة. وكأن كلمة "آلما" تُطابق حالة القديسة مريم تمامًا بكونها عذراء وفي نفس الوقت مخطوبة للقديس يوسف"[1].

وللرد على هذا التفسير بالرجوع إلى المعجم العبري أقول إن:

معني كلمةעַלְמָה هو:

- הָעַלְמָה: شابة، فتاة، آنسة، صبية.

ومعنى كلمة בתולה هو:

- בתולה: عذراء، بتول، باكر، فتاة.

وهكذا يكون النص بالعبري ها الشابة أو الفتاة أو الآنسة أو العذراء تلد ابنا.

- الملاحظة الثانية والتي أغفلها المسيحيون وربما تجاهلوها عن قصد، وهي ضرورة معرفة السياق الذي جاء فيه القصة، وليس أخذ جزء مبتور من العدد.

وهذه هي القصة كاملة أنقل نصها رغم طوله: (وفي أَيَّامِ آحازَ بنِ يوتامَ بنِ عُزِّيَّا، مَلِكِ يَهوذا، صَعِدَ رَصين، مَلِكُ أرام، وفاقَحُ بنُ رَمَلْيا، مَلِكُ إِسْرائيل، إِلى أُورَشَليمَ لِمُحارَبَتِها، فلَم يَقدِرا علَى مُحارَبَتِها. 2 وأُخبِرَ بَيتُ داوُدَ وقيل: «إِنَّ أرامَ قد حَلَّ في أَفْرائيم». فاَضطَرَبَ قَلبُه وقَلبُ شَعبِه آضطِرابَ شَجَرِ الغابِ في وَجهِ الرِيح. 3 فقالَ الرَّبُّ لِأَشَعْيا: «اُخرُجْ لِلِقاءِ آحاز، أَنتَ وشَآرَ ياشوبُ آبنُكَ، إِلى آخِرِ قَناةِ

(1) http://st-takla.org/pub_Bible-Interpretations/Holy-Bible-Tafsir-01-Old-Testament/Father-Tadros-Yacoub-Malaty/27-Sefr-Asheia/Tafseer-Sefr-Ash3eia2__01-Chapter-07.html.

البركَةِ العُلْيا، إلى طَريقِ حَقلِ مُنَظِّفِ الثِّياب، 4 وقُلْ لَه: تَنبهْ وكُنْ هادِئاً، ولا تَخَفْ ولا يَضعُفْ قَلبُكَ مِن ذَنَبَي هاتَين الجَمرَتَين المُدَخِّنَتَين بِسَبَبِ آضطِرامِ غَضَبِ رَصين، مَلِكِ أرام، وآبن رَمَلْيا. 5 فإنَّ أرامَ وأفْرائيمَ وآبنَ رَمَلْيا قد تآمَروا عليكَ بالسُّوءِ قائلين: 6 لِنَصعَدْ على يَهوذا ونُرَوِّعْه ونُحَطِّمْه تَحتَنا ونُمَلِّكْ فيه آبنَ طابَئيل. 7 هكذا قالَ السَّيِّدُ الرَّبّ: لا يَقومُ الأمرُ ولا يَكون 8 لِأنَّ رَأسَ أرامَ هو دمَشْق ورَأسَ دمَشْقَ هو رَصَين وبَعدَ خَمَسٍ وسِتّينَ سَنَة يُحَطَّمُ أفْرائيمُ فلا يَبْقى شَعباً 9 ولِأنَّ رَأسَ أفْرائيمَ هو السَّامِرة ورَأسَ السَّامِرَةِ هو آبنُ رَمَلْيا وأنتُم إن لم تُؤمِنوا فلَن تأمَنوا 10 وعادَ الرَّبُّ فكَلَّمَ آحازَ قائِلاً: 11 «سَلْ لِنَفسِكَ آيةً مِن عِندِ الرَّبِّ إلهِكَ، سَلْها إمَّا في العُمْقِ وإمَّا في العَلاءِ مِن فَوقُ». 12 فقالَ آحاز: «لا أسأَلُ ولا أُجَرِّبُ الرَّبّ». 13 فقالَ أشَعْيا: «إسمَعوا يا بَيتَ داوُد. أقليلٌ عِندَكم أن تُسئِموا النَّاسَ حتَّى تُسئِموا إلهي أيضاً؟ 14 فلِذلك يُؤتيكُمُ السَّيِّد نَفْسُه آيَةً: ها إنَّ الصَّبِيَّةَ تَحمِلُ فتَلِدُ آبناً وتَدْعو آسمَه عِمَّانوئيل. 15 يَأكُلُ لَبَناً حَليباً وعَسَلاً إلى أن يَعرِفَ أن يَرذُلَ الشَّرَّ ويَختارَ الخَير، 16 لِأنَّه قَبلَ أن يَعرِفَ الصَّبيُّ أن يَرذُلَ الشَّرَّ ويَختارَ الخَير، تُهجَرُ الأرضُ الَّتي أنتَ تَخافُ مَلِكَيها)[1].

(1) – سفر اشعياء7/1-16

ويمكن تلخيص النص فيما يلي:

- أنه في زمن إشعيا تحالف رصين ملك أرم[1] مع فقح بن رمليا ملك إسرائيل[2] وقررا مهاجمة آحاز بن يوثام (ملك يهوذا)، والرب أرسل النبي إشعياء ليطمئن قلب آحاز بأن الرب سيحمي يهوذا.
- عاد الرب فطلب من آحاز طلب آية لكن رفض قائلا: وعادَ الرَّبُّ فكَلَّمَ آحازَ قائِلاً: «سَلْ لِنَفسِكَ آيةً مِن عِندِ الرَّبِّ إلهِكَ، سَلْها إمَّا في العُمْقِ وإمَّا في العَلاءَ مِن فَوقُ». 12 فقالَ آحاز: «لا أسأَلُ ولا أُجَرِّبُ الرَّبّ».
- رغم رفض آحاز طلب آية، أعطاه الله آية وهي: (فلِذلك يُؤتيكُمُ السَّيِّد نَفْسُه آيَةً: ها إنَّ الصَّبِيَّةَ تَحمِلُ فتَلِدُ آبناً وتَدْعو آسمَه عِمَّانوئيل). وهذا الصبي قبل أن يعرف الشر ويختار الخير تهجر الأرض التي يرعبه – يُرعِب آحاز- ملكها.

يقول يعقوب ملطي -بعد أن ربط النص بالمسيح وأمه وقد سبق دحض هذا الأمر-: "أما بالنسبة لما تم في أيام آحاز فقد أعلن الله عن ميلاد ابن إشعياء، قيل عنه: لِأَنَّه قَبلَ أن يَعرِفَ الصَّبيُّ أن يَرذُلَ الشَّرَّ ويَختارَ الخَير، تُهجَرُ الأرضُ الَّتي أنتَ تَخافُ مَلِكَيها. وتحقق ذلك بدقة إذ هاجم ملك أشور دمشق بعد إعلان هذه النبوة بفترة قصيرة وقتل رصين (سفر الملوك الثاني 9/16) كما قتل هوشع بن إيلة فقح بن رمليا وملك عوضا عنه(سفر الملوك الثاني30/15). وأعيد 200000 أسير بسرعة، وذلك لا بالقوة والقدرة بل بروح الرب (سفر الأخبار الثاني28/8-15)"[3].

فنص النبوءة بعيد كل البعد عن المسيح وميلاده الإعجازي، ولا مجال لربطه بالمسيح عليه السلام، على اعتبار أن النبوة تخص حدثا تاريخيا وقع قبل المسيح بسنوات عديدة.

- مريم العذراء وولادة المسيح

بعد هذا الرد على نبوة إشعياء أنتقل إلى الحديث عن مريم العذراء وولادة المسيح عليه السلام وفق المعتقد المسيحي.

يقول الأنبا غريغوريوس: "وأما الولادة فقد كانت ولادة حقيقة بعد حمل استغرق تسعة أشهر كاملة، ومع ذلك فقد انفردت العذراء مريم بأن ولادتها لم تخدش

---

(1) "قاموس الكتاب المقدس، ترجمة وتأليف جورج بوست"، طبع في بيروت، ط1894ص: 484.

(2) نفسه، ط1901، ص: 167.

(3) http://st-takla.org/pub_Bible-Interpretations/Holy-Bible-Tafsir-01-Old-Testament/Father-Tadros-Yacoub-Malaty/27-Sefr-Asheia/Tafseer-Sefr-Ash3eia2__01-Chapter16.html

بكارتها... وهو برهان على لاهوت المسيح"[1]. لكي يبرهن على أن المسيح هو الله قال رغم ولادته بقيت مريم عذراء. ويضيف شارحا ذلك: "فمتى ولدت عذراء فمولودها هو الإله، ذلك أن الله وحده يستطيع أن يلج العناصر الصماء وهي مغلّقة، ولا يحتاج إلى فتح الباب متى دخل ولا إلى ترك أثر إذا خرج. هكذا دخل الله إلى العالم من باب مغلّق أي بواسطة عذراء مختومة"[2].

فهل فعلا أن مريم لما ولدت المسيح عليه السلام بقيت عذراء؟ الإجابة عند المسيحيين الأرثوذكس أنها فعلا بقيت عذراء، لكن الإشكال في ذلك عندهم هو غياب نص على ذلك، وما قيل عن عذريتها يبقى فقط مجرد أقوال.

والغريب في الأمر أنه توجد نصوص وتفسيرات يفهم منها عكس ما يقولون، جاء في لوقا: (وبَينَما هما فيها حانَ وَقتُ وِلادَتِها، فولَدَتِ ابنَها البِكر، فَقَمَّطَتهُ وأضجَعَتهُ في مِذوَدٍ لأَنَّهُ لم يَكُنْ لَهُما مَوضِعٌ في المَضافة)[3]. أي إن مريم جاءها المخاض. وهذا ما يفسره متى المسكين بقوله: "كيف احتملت المخاض وحدها، كيف استقبلت الطفل بيديها، كيف قمطته وهي منهوكة القوى؟ ماذا شربت ماذا أكلت؟: اشهدن يا نساء العالم على أم المخلص كم عانت؟ وكم تستحق التمجيد، عزائي الوحيد أن الرحلة الشاقة ذات الأربعة أيام والتسعين ميلا سهلت الوضع بحسب خبرة أصحاب التوليد وأهلتها لمعونة ملائكية، وأخفيت عن الإنجيل ليزداد عطفنا عليها وحبنا لها"[4].

هذا التفسير يدحض بكل صراحة قول الأنبا غريغوريوس القائل بأن الذي ولدته مريم هو الله الذي وحده يستطيع أن يلج الأماكن الصماء. فمتى المسكين يؤكد أن مريم جاءها المخاض وعانت أثناء الولادة، وأن ظروف السفر هي التي ساعدت وسهلت الوضع. وما يُرَد به أيضا على غريغوريوس، فإذا كان باستطاعة المسيح أن يخرج من الأماكن الصماء وبهذه القدرة الخارقة للعادة، فما كان له أن يولد في حضيرة الحيوان بل كان عليه أن يختار ما هو أفضل وما يليق بقَدره. لكن لم يحصل ذلك بل ولد في حضيرة الماشية يقول الأنبا غريغوريوس: "ذهبا إلى فندق متواضع في تلك المدينة، ولكنهما لم يجدا لهما مكانا فيه... فأقاما في حضيرة الماشية... وقد

---

(1) اللاهوت العقيدي سرى التجسد والفداء، الأنبا غريوريوس، نشر مكتبة الأنبا غريغوريوس بمصر، ط2004، ص: 159.

(2) نفسه، ص: 161.

(3) لوقا2/6-7 .

(4) "الإنجيل بحسب القديس لوقا دراسة وتفسير وشرح"، الأب متى المسكين، مطبعة دير أنبا مقار، ط1998،1، ص: 125.

اتفق أن حان موعد ولادتها في ذلك الوقت فولدت ابنها الإلهي...وقد قمطته في الغالب ببعض ثيابها أو ثياب خطيبها. وإذ لم يكن ثمة في الحظيرة فراش أو ما يشبه الفراش تضعه فيه، مهدت له مكانا في مذود من مذواد الماشية بالحظيرة وأضجعته فيه"[1]. إذن فالله الذي ولج الأماكن الصماء ولد في حظيرة الماشية. لعدم وجود مكان في الفندق.

ومما يستشف من قول الأنبا غريغوريوس – أي خروج المسيح من الأماكن الصماء-أن مريم لم تتنجس باعتبار الطريقة التي تمت بها الولادة كما يعتقد. إلا أنه يوجد ما يخالف قوله بالنص لا الاجتهاد ففي لوقا نجد:

الترجمة العربية المشتركة: (ولـمَّا حانَ يَومُ طُهورهما بِحَسَبِ شَريعَةِ موسى، صَعِدا بـه إلـى أُورَشَليم لِيُقَدِّماه لِلـرَّبّ)[2]. ذكرت الترجمة طهورهما وهذا خطأ وتحريف للنص. ولعل ترجمة الفاندايك تكشف ذلك.

ترجمة الفاندايك: (وَلَمَّا تَمَّتْ أَيَّامُ تَطْهِيرِهَا، حَسَبَ شَرِيعَةِ مُوسَى، صَعِدُوا بِهِ إِلَى أُورُشَلِيمَ لِيُقَدِّمُوهُ لِلرَّبِّ).

فالتطهير يتعلق بمريم لا غير، بمعنى كانت نجسة حسب شريعة موسى جاء في سفر اللاويين: (وَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: 2«قُلْ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: إِذَا حَبِلَتِ امْرَأَةٌ وَوَلَدَتْ ذَكَراً تَكُونُ نَجِسَةً سَبْعَةَ أَيَّامٍ. كَمَا فِي أَيَّامِ طَمْثِ عِلَّتِهَا تَكُونُ نَجِسَةً. 3وَفِي الْيَوْمِ الثَّامِنِ يُخْتَنُ لَحْمُ غُرْلَتِهِ. 4ثُمَّ تُقِيمُ ثَلاَثَةً وَثَلاَثِينَ يَوْماً فِي دَمِ تَطْهِيرِهَا. كُلَّ شَيْءٍ مُقَدَّسٍ لاَ تَمَسَّ وَإِلَى الْمَقْدِسِ لاَ تَجِئْ حَتَّى تَكْمُلَ أَيَّامُ تَطْهِيرِهَا. 5وَإِنْ وَلَدَتْ أُنْثَى تَكُونُ نَجِسَةً أُسْبُوعَيْنِ كَمَا فِي طَمْثِهَا. ثُمَّ تُقِيمُ سِتَّةً وَسِتِّينَ يَوْماً دَمِ تَطْهِيرِهَا)[3].

وقد شهد متى المسكين بنجاسة مريم قائلا: "أما تطهير الأم القديسة فهذا بناء على وصية سفر اللاويين تظل غير طاهرة بسبب الدم سبعة أيام وتبقى في البيت ثلاثة وثلاثين يوما"[4]. فمريم إذن ولدت المسيح ولادة طبيعية وخرج من حيث يخرج المولود وتنجست كباقي النساء. وهذا بشهادة النصوص، ومن ثمة فلا مجال للقول إن المسيح- الإله- ولج الأماكن الصماء ولم تتنجس مريم وبقيت عذراء.

إن ودلاة المسيح عليه السلام بغير أب تعد في معتقد المسيحين أن الله تجسد ودخل رحم مريم بمعنى أن مريم والدة الإله المتجسد وهذا هو موضوع المطلب الثاني.

---

(1) الانبا غريغوريوس، نشر مكتبة الأنبا غريغوريوس مصر، ص: 32 "تفسير إنجيل القديس لوقا.

(2) لوقا22/2.

(3) سفر اللاويين12/1-6.

"(4) الإنجيل بحسب القديس لوقا، دراسة وتفسير وشرح"، متى المسكين، ص: 135.

المبحث الثاني
تجسد الإله

1 - مفهوم التجسد

يقصد بالتجسد أن الله صار إنسانا، وقد عرفه الشماس سامح حلمي بقوله:

- "التجسد الإلهي يعني أن الله وهو ملك السموات قد تنازل وأخذ جسدا إنسانيا فاتحد بطبيعتنا، وظهر بيننا على الأرض.
- التجسد الإلهي يعني أن الله غير المنظور قد صار منظورا في جسد إنسان.
- والتجسد الإلهي يعني أن الله قد تواضع حبا فينا وأخلى ذاته وأخذ جسدنا.
- الله الكلمة صار إنسانا وحل بيننا، كلمة صار لا تعني الصيرورة والتحول، بل تعني أخذ جسدا"[1].

ومن التعريفات أيضا: "التجسد أخذ جسد بشري، إن ابن الله الأزلي جاء إلى العالم وأخذ جسدا بشريا، والكلمة صار جسدا وحل بيننا"[2].

وفي اعتقاد المسيحيين أن الله: "ظل يهيء الأذهان لفكرة التجسد الإلهي عبر القرون الطويلة لعمر البشرية"[3]، ومن أدلتهم على ذلك أذكر مثالين:

أ - المثال الأول: ظهوره لهاجر جارية سارة

بالنسبة لظهور الله لهاجر فقد جاءت قصة ذلك في سفر التكوين: (فَوَجَدَهَا مَلاَكُ الرَّبِّ عَلَى عَيْنِ الْمَاءِ فِي الْبَرِّيَّةِ عَلَى الْعَيْنِ الَّتِي فِي طَرِيقِ شُورَ. 8وَقَالَ: «يَا هَاجَرُ جَارِيَةَ سَارَايَ مِنْ أَيْنَ أَتَيْتِ وَإِلَى أَيْنَ تَذْهَبِينَ؟». فَقَالَتْ: «أَنَا هَارِبَةٌ مِنْ وَجْهِ مَوْلاَتِي سَارَايَ». 9فَقَالَ لَهَا مَلاَكُ الرَّبِّ: «ارْجِعِي إِلَى مَوْلاَتِكِ وَاخْضَعِي تَحْتَ يَدَيْهَا». 10وَقَالَ لَهَا مَلاَكُ الرَّبِّ: «تَكْثِيراً أُكَثِّرُ نَسْلَكِ فَلاَ يُعَدُّ مِنَ الْكَثْرَةِ». 11وَقَالَ لَهَا مَلاَكُ الرَّبِّ: «هَا أَنْتِ حُبْلَى فَتَلِدِينَ ابْناً وَتَدْعِينَ اسْمَهُ إِسْمَاعِيلَ لأَنَّ الرَّبَّ قَدْ سَمِعَ لِمَذَلَّتِكِ)[4].

---

(1) "إيماننا المسيحي صادق وأكيد"، حلمي، ص: 87.

(2) - "هذه عقائدنا"، ج. كلايد تارنر، إصدار الخدمة العربية للكرازة بالإنجيل: 73.

(3)- "إيماننا المسيحي صادق وأكيد"، حلمي، 91.

(4) - سفر التكوين16/7-11.

وحقيقة فالنص صراحة هو حجة عليهم لا لهم، وليس فيه ما يؤيد اعتقادهم بأنه دليل التجسد الإلهي، فما ورد في النص "وجدها ملاك الرب" وليس الرب وتكررت هذه العبارة أربع مرات، فيعني هذا أن الله أرسل ملاكا إلى هاجر عليها السلام.

- المثال الثاني: ظهوره ليعقوب عليه السلام

والنص في ذلك: (قَامَ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ وَأَخَذَ امْرَأَتَيْهِ وَجَارِيَتَيْهِ وَأَوْلاَدَهُ الأَحَدَ عَشَرَ وَعَبَرَ مَخَاضَةَ يَبُّوقَ. 23أَخَذَهُمْ وَأَجَازَهُمُ الْوَادِيَ وَأَجَازَ مَا كَانَ لَهُ. 24فَبَقِيَ يَعْقُوبُ وَحْدَهُ. وَصَارَعَهُ إِنْسَانٌ حَتَّى طُلُوعِ الْفَجْرِ. 25لَمَّا رَأَى أَنَّهُ لاَ يَقْدِرُ عَلَيْهِ ضَرَبَ حُقَّ فَخْذِهِ فَانْخَلَعَ حُقُّ فَخْذِ يَعْقُوبَ فِي مُصَارَعَتِهِ مَعَهُ. 26وَقَالَ: «أَطْلِقْنِي لأَنَّهُ قَدْ طَلَعَ الْفَجْرُ». فَقَالَ: «لاَ أُطْلِقُكَ إِنْ لَمْ تُبَارِكْنِي». 27فَسَأَلَهُ: «مَا اسْمُكَ؟» فَقَالَ: «يَعْقُوبُ». 28فَقَالَ: «لاَ يُدْعَى اسْمُكَ فِي مَا بَعْدُ يَعْقُوبَ بَلْ إِسْرَائِيلَ لأَنَّكَ جَاهَدْتَ مَعَ اللهِ وَالنَّاسِ وَقَدِرْتَ». 29وَسَأَلَهُ يَعْقُوبُ: «أَخْبِرْنِي بِاسْمِكَ». فَقَالَ: «لِمَاذَا تَسْأَلُ عَنِ اسْمِي؟» وَبَارَكَهُ هُنَاكَ. 30دَعَا يَعْقُوبُ اسْمَ الْمَكَانِ «فَنِيئِيلَ» قَائِلاً: «لأَنِّي نَظَرْتُ اللهَ وَجْهاً لِوَجْهٍ وَنُجِّيَتْ نَفْسِي». 31وَأَشْرَقَتْ لَهُ الشَّمْسُ إِذْ عَبَرَ فَنُوئِيلَ وَهُوَ يَخْمَعُ عَلَى فَخْذِهِ"[1].

هذا النص تضع له كثير من ترجمات الكتاب المقدس العنوان الآتي: "يعقوب يصارع الله". فهل يعد النص إذا دليلا على التجسد الإلهي؟ للإجابة عن هذا السؤال من الضروري الرجوع إلى التفاسير، تقول الكنسية تفسير سفر التكوين عن هذه القصة تحت عنوان مصارعة الله:

"بعد أن سارت قافلة زوجاته وأولاده مسافة في طريقهم إلى مقابلة عيسو، وكان ذلك أثناء الليل، بقي يعقوب وحده ووقف يصلي طالبًا معونة الله في مقابلته لعيسو ليصرف غضبه ولا ينتقم منه. وفيما هو يصلي أراد الله أن يطمئنه، فظهر له بشكل ملاك أو أرسل إليه ملاكًا له صورة إنسان فشعر يعقوب أنه كائن سماوي فأسرع ليمسك به ويطلب معونته، فتظاهر الملاك كأنه يريد أن ينصرف عنه أما هو فتشبث به طالبًا بركته لأنه شعر أنه مرسل من الله"[2].

تبين الموسوعة الكنسية أن سبب تخلف يعقوب عن عائلته هو لأجل الصلاة وطلب معونة الله في مقابلته لأخيه عيسو، وأن الله ظهر له في شكل ملك، أو أرسل إليه ملاكا له صورة إنسان.

لكن النص صراحة لم يذكر أن يعقوب تخلف عن عائلته قصد الصلاة، وبدون مقدمات تقول أنه صارعه إنسان ولم يذكر أن الذي صارعه هو الله.

---

(1) - سفر التكوين32/22-31.

(2) "الموسوعة الكنسية لتفسير سفر التكوين"، إعداد وتفسير مجموعة من كهنة وخدام الكنيسة، كنيسة ما مرقص القبطية الأرثوذكسية مصر، ص: 242.

تضيف الموسوعة الكنسية أيضا: "وظل يعقوب يتضرع إليه متشبثًا به طوال الجزء الباقي من الليل حتى طلع الفجر، وتظاهر الملاك بالضعف أمام يعقوب كأنه غير قادر على التخلص من التشبث به وذلك ليشجعه وهو مستمر في طلب بركته ومعونته بل يقول له" لا أطلقك إن لم تباركني"لأني محتاج جدًا أمام قوة عيسو المقبل علي. وفي النهاية لم يباركه الملاك فقط بل ضربه أي لمسه على حق فخذه فانخلع الفخذ جزئيًا من البدن، فتألم يعقوب ولكنه ظل ممسكًا بالملاك طالبًا معونته .وهذا يظهر مدى تمسك يعقوب بالله وإحساسه بضعفه واحتياجه"[1].

وهذا التفسير تحريف للنص، لأن يعقوب لم يكن يتضرع إلى ذاك الإنسان أو الملاك وإنما كان يصارعه وشتان بين التضرع والمصارعة، بدليل النص: (وَلَمَّا رَأَى أَنَّهُ لاَ يَقْدِرُ عَلَيْهِ ضَرَبَ حُقَّ فَخْذِهِ فَانْخَلَعَ حُقُّ فَخْذِ يَعْقُوبَ فِي مُصَارَعَتِهِ مَعَهُ. 26وَقَالَ: «أَطْلِقْنِي لأَنَّهُ قَدْ طَلَعَ الْفَجْرُ». فَقَالَ: «لاَ أُطْلِقُكَ إِنْ لَمْ تُبَارِكْنِي»). ثم كيف يعقل أنه إذا كان الله فعلا يريد مباركة يعقوب أن يكون ذلك مقابل آلم؟ فما دام سيباركه فيعني أن له - ليعقوب – منزلة عند الله ومن له منزلة عند الله فلا شك سيحميه لا أن يعذبه. وهذا ما يجعل القول بمصارعة يعقوب لله المتجسد ليس صحيحا.

وزيادة في الإيضاح في تفسير النص أذكر ما جاء في أحد التفاسير أيضا، يقول نجيب جرجس: "ويرى بعض المفسرين أن الإنسان الذي صارعه هو ملاك العهد أي الله الكلمة جاء بصورة إنسان ليفتح أذهان البشر لعقيدة التجسد، على أن الأرجح أنه كان ملاكا عاديا أرسله الله لتشجيع يعقوب في الوقت الذي كان خائفا فيه من أخيه عيسو"[2].

فالذي صارعه يعقوب هو ملاك وليس الله المتجسد، وقد قال ذلك صراحة القمص تادرس يعقوب: "إذ اجتاز يعقوب وأسرته نهر يبوق انفرد للخلوة، وكأنه كان يستعد للقاء عيسو خلال لقائه مع الله، وقد ظهر له إنسان، يرى غالبية الدارسين أنه ملاك على شكل إنسان، وليس كلمة الله"[3].

هكذا يتضح أن القول بتجسد الله في العهد القديم لا وجود له بشهادة النصوص وكذلك التفاسير. فالله إذن لا يمكن أن يتجسد.

---

(1)- "الموسوعة الكنسية لتفسير سفر التكوين"، ص: 242.

(2) - "تفسير سفر التكوين"، نجيب جرجس، ص: 331.

(3) http://st-takla.org/pub_Bible-Interpretations/Holy-Bible-Tafsir-01-Old-Testament/Father-Tadros-Yacoub-Malaty/01-Sefr-El-Takween/Tafseer-Sefr-El-Takwin__01-Chapter-31.html

ومن الملاحظات المهمة في النص أنه إذا كان فعلا ملاك الله هو الذي أُرسل إلى يعقوب فما كان له أن يصارعه، بل ستكون معاملته تليق بملاك مرسل من الله. كما أنه في المقابل يكون عالما باسم يعقوب لا جاهلا له.

ومن التناقضات بين النص والتفسيرات، أن في النص حديث عن تغيير الاسم من يعقوب إلى إسرائيل هو نتيجة المباركة، أما التفسيرات فتذكر أنه كان يصلي ويتضرع قصد التغلب على أخيه عيسو، وهذا غير موجود في النص.

ومن الملاحظات أيضا كيف يكون وجود ذلك الإنسان الملاك- الله حسب اعتقاد البعض كما أسلفت- مرتبطا بالليل وليس النهار؟ (وَقَالَ: «أَطْلِقْنِي لأَنَّهُ قَدْ طَلَعَ الْفَجْرُ). والتفاسير السالفة الذكر لم تفسر هذا الأمر.

ثم إن قول يعقوب أني نظرت الله وجها لوجه (دَعَا يَعْقُوبُ اسْمَ الْمَكَانِ «فَنِيئِيلَ» قَائِلاً: «لأَنِّي نَظَرْتُ اللهَ وَجْهاً لِوَجْهٍ وَنُجِّيَتْ نَفْسِي)، فيه تناقض مع التفاسير والكتاب المقدس، لأن من يرى الله يموت كما جاء في سفر الخروج: (لأَنَّ الإِنْسَانَ لاَ يَرَانِي وَيَعِيشُ)[1]. فقول يعقوب رأيت الله وجها لوجه لا يستقيم والكتاب المقدس.

بعد مناقشة القول بتجسد الله في العهد القديم أنتقل إلى الحديث عن التجسد وكيفية حصوله انطلاقا من العهد الجديد وأقوال المفسرين فيه.

2 - التجسد الإلهي وطبيعة المسيح

أ - كيفية التجسد الإلهي

يعتقد المسيحيون أن المسيح، "عندما أراد أن يتجسد من أجل خلاص البشرية، حل بلاهوته في بطن العذراء مريم، واتخذ منها جسدا بروح عاقلة واتحد به اتحادا كاملا، وبعد تسعة أشهر خرج من العذراء مريم إلها متأنسا أي أنه إله ظهر في إنسانية كاملة"[2]. وهناك وصف آخر عن كيفية التجسد يقول: "حل الروح القدس على العذراء مريم، وكون منها جسد المسيح، فكان طاهرا خاليا من الخطية، وكذلك من الفساد الوراثي لأنه أتى بدون زرع بشر. وفي اللحظة التي هيأ فيه الروح القدس مبدأ الناسوت في بطن العذراء في نفس اللحظة اتحد اللاهوت به، فلم تكن هناك لحظة من الزمان كان فيها ناسوت المسيح خاليا من لاهوته، ولذلك تسمي الكنيسة

(1) - سفر الخروج20/33.

(2) "اللاهوت العقيدي لاهوت السيد المسيح"، الأنبا غريغوريوس، مكتبة الأنبا غريوغوريوس، مصر، ط أكتوبر 2004.

القديسة مريم معمل الاتحاد غير المفترق إذ فيها تم اتحاد اللاهوت بالناسوت اتحادا أبديا"[1].

وهذه الكيفية ينقصها الدليل من الكتاب المقدس، فليس هناك نص يقول إن الله حل بلاهوته في بطن مريم العذراء أو أنها ولدت إلها متأنسا.

وبالرجوع إلى الإنجيل يتضح الأمر أكثر ففي إنجيل لوقا النص واضح على أن مريم ولدت يسوع وليس إلها متجسدا، لاهوته متحد بناسوته وهذا هو النص:

جاء في لوقا: (فَدَخَلَ إِلَيْهَا الْمَلاَكُ وَقَالَ: «سَلاَمٌ لَكِ أَيَّتُهَا الْمُنْعَمُ عَلَيْهَا! اَلرَّبُّ مَعَكِ. مُبَارَكَةٌ أَنْتِ فِي النِّسَاءِ». 29فَلَمَّا رَأَتْهُ اضْطَرَبَتْ مِنْ كَلاَمِهِ، وَفَكَّرَتْ: مَا عَسَى أَنْ تَكُونَ هَذِهِ التَّحِيَّةُ! 30فَقَالَ لَهَا الْمَلاَكُ: «لاَ تَخَافِي يَا مَرْيَمُ لأَنَّكِ قَدْ وَجَدْتِ نِعْمَةً عِنْدَ اللهِ. 31وَهَا أَنْتِ سَتَحْبَلِينَ وَتَلِدِينَ ابْناً وَتُسَمِّينَهُ يَسُوعَ)[2]. النص يقول ستلدين ابنا ولا حديث فيه عن ناسوت ولاهوت. ورغم قول المسيحيين باتحاد اللاهوت بالناسوت اتحادا أبديا؛ إلا أنهم يختلفون حول الطبيعة المسيح وهذا ما سأبينه في النقطة التالية.

ب - طبيعة المسيح

هذا الموضوع انقسم فيه المسيحيون بين قائل بالطبيعة الواحدة وبين قائل بالطبيعتين، وأذكر منهم:

- الأرثوذكس[3]:

هم القائلون بالطبيعة الواحدة للمسيح، يقول البابا شنودة: "الطبيعة اللاهوتية (الله الكلمة) اتحدت بالطبيعة الناسوتية التي أخذها الكلمة (اللوجوس) من العذراء مريم بعمل الروح القدس. الروح القدس طهر وقدس مستودع العذراء طهارة كاملة حتى لا يرث المولود منها شيئًا من الخطية الأصلية، وكون من دمائها جسدًا اتحد به ابن الله الوحيد. وقد تم هذا الاتحاد منذ اللحظة الأولى للحبل المقدس في رحم السيدة العذراء. وباتحاد الطبيعتين الإلهية والبشرية داخل رحم السيدة العذراء تكونت منهما طبيعة واحدة هي طبيعة الله الكلمة المتجسد"[4].

---

(1) "إيماننا المسيحي صادق وأكيد"، حلمي، ص: 96.

(2) لوقا1/28-31.

(3) كلمة الأرثوذكسي orthodoxy، كلمة يونانية الأصل، مركبة من لفظتين يونانيتين: "أرثوس" وهي صفة لما هو قويم وسليم، و"ذكسا": وهي اسم يدل على الرأي والمعتقد، والفكر، فيكون معنى الكلمة اليونانية "أرثوذكسا": المعتقد القويم، أو الرأي القويم"، للتوسع أكثر ينظر: الفرق والمذاهب المسيحية منذ ظهور الإسلام حتى اليوم، سعد رستم، الأوائل للنشر والتوزيع دمشق، ط2، 2005، ص: 47.

(4) "طبيعة المسيح"، البابا شنودة، ط5، 1995، القاهرة، ص: 7.

فالمسيح هو إله من طبيعة واحدة طبيعة لاهوتية وطبيعة ناسوتية اتحدتا. ورغم قولهم هذا فهم يعترفون بأن كيفية هذا الاتحاد يبقى سرا، يقول الأسقف غريغوريوس: "ولكن كيف صار هذا الاتحاد؟ أو كيف يكون لطبيعة السيد المسيح الواحدة صفات اللاهوت والناسوت معا بدون اختلاط ولا امتزاج وبدون تغيير؟ أو كيف يكون للسيد المسيح صفات الطبيعتين ولا تكون له الطبيعتان؟ هذا ما لا نعرف إنه من الأسرار الإلهية. لا يمكن أن نفهمه أو نعيه أو نحتويه في عقولنا. فنحن نؤمن بنوع من الاتحاد يفوق كل فهم بشري وكل تصور"[1].

وهذا القول صراحة يُرد به على البابا شنودة الذي تحدث عن الاتحاد بين الطبيعتين وكأن الأمر سهل الفهم، لكن الأنبا غريغوريوس بين أن ذلك – الاتحاد- لا يمكن فهمه ولا إدراكه، وهنا أقول ما دام الأمر كذلك، فلماذا القول باتحاد الطبيعة اللاهوتية بالطبيعة الناسوتية؟ ولماذا التبشير بالمسيحية وهي غير مفهومة وفوق العقل؟

- الكاثوليك[2]: هم الذين يقولون بالطبيعتين، طبيعة لاهوتية وطبيعة ناسوتية للمسيح. فالمسيح كما يقول سعد رستم: "بطبيعتين متحدتين في شخص واحد: إنه إله تام، حقيقي، وإنسان تام، جسده لم يهبط من عل، وليس مركبا من عناصر سماوية، بل هو جسد مأخوذ من مريم بولادة فعلية حقيقية"[3]. ويشترك البروتستانت مع الكاثوليك في القول بطبيعتين للمسيح وليس طبيعة واحدة كما هو الشأن بالنسبة للأرثوذكس.

والقول بالطبيعتين بعد الاتحاد يعني: "أن الإنسان يسوع قد تشكل بنفسه في الرحم أولا وبعد ذلك سكنه الكلمة"[4].

هكذا يتضح أن المسيحيين أنفسهم، لم يتفقوا على طبيعة المسيح، فالذين نادوا بالطبيعة الواحدة لم يقدموا أي دليل والشأن نفسه للقائلين بالطبيعتين، وهذا الخلاف راجع إلى انعدام النص كمصدر قوي للحجة، لكن غيابه فتح لهم الباب لقول ما يشاؤون من غير استناد إلى دليل، فالمسيح عليه السلام لم يقل أنا إله متأنس لي طبيعة واحدة أو لي طبيعتان.

وتجدر الإشارة إلى أن الخلاف بين الأرثوذكس والكاثوليك والبروتستانت حول طبيعة المسيح، يترتب عليه القول:

---

(1) "لاهوت مقارن، الأنبا غريغورويس، نشر مكتبة الأنبا غريغوريوس مصر، ص: 231.

(2) أصل كلمة "كاثوليكي" هو اللفظة اليونانية "Katholikos" "كاثوليكوس"، وتعني العالمي، ينظر: الفرق والمذاهب المسيحية منذ ظهور الإسلام حتى اليوم، سعد رستم، ص: 68.

(3) "الفرق والمذاهب المسيحية منذ ظهور الإسلام حتى اليوم، سعد رستم، ص: 72.

(4) "الإصطلاحان طبيعة وأقنوم في الكنيسة الأولى"، القمص تادرس يعقوب ملطي، ص: 23.

- بالنسبة للأرثوذكس أصحاب الطبيعة الواحدة:

يعني أن مريم ولدت الإله الإنسان. يقول البابا شنودة: "من المستحيل أن تكون العذراء ولدت إلهاً فقط. لأنها ولدت طفلا رآه الكل. ولا يمكن أن تكون ولدت إنساناً فقط ...والعذراء أيضاً لم تلد إنساناً وإلهاً وإلا كان لها ابنان: الواحد منهما إله والآخر منهما إنسان. لم يبق إلا أنها ولدت الإله المتجسد"[1].

وقول البابا هذا مردود لأن مريم عليها السلام ولدت ابنا وسمته يسوعا والنص واضح لا غبار عليه جاء في لوقا: (فَدَخَلَ إِلَيْهَا الْمَلاَكُ وَقَالَ: «سَلاَمٌ لَكِ أَيَّتُهَا الْمُنْعَمُ عَلَيْهَا! اَلرَّبُّ مَعَكِ. مُبَارَكَةٌ أَنْتِ فِي النِّسَاءِ». 29فَلَمَّا رَأَتْهُ اضْطَرَبَتْ مِنْ كَلاَمِهِ، وَفَكَّرَتْ: مَا عَسَى أَنْ تَكُونَ هَذِهِ التَّحِيَّةُ! 30فَقَالَ لَهَا الْمَلاَكُ: «لاَ تَخَافِي يَا مَرْيَمُ لأَنَّكِ قَدْ وَجَدْتِ نِعْمَةً عِنْدَ اللهِ. 31وَهَا أَنْتِ سَتَحْبَلِينَ وَتَلِدِينَ ابْناً وَتُسَمِّينَهُ يَسُوعَ)[2].

- بالنسبة للكاثوليك والبروتستانت القائلين بطبيعتين للمسيح: "تكون مريم والدة الإنسان يسوع فقط، ولا يصح تلقيبها بوالدة الإله، لأنها ليست أصلا للاهوت"[3].

من هنا يلحظ الباحث وجود خلاف حقيقي فيما يخص طبيعة المسيح بين المسيحيين، والأكثر من هذا هناك اتهام لبعضهم بالكفر فيقولون: "يجب أن نعتبر أن الكلمة المولود من الله الآب والهيكل المأخوذ من القديسة العذراء هما واحد. لا كأنهما من جوهر واحد ولكن لأن فكرة التقسيم بعد الاتحاد الذي لا يعبر عنه فكرة كفرية"[4].

بمعنى من يقسم المسيح بعد الاتحاد إلى طبيعتين: لاهوتية ناسوتية فهو كافر، وبناء على هذا يكون الكاثوليك والبروتستانت كفرة في نظر الأرثوذكس. وهنا أقول لو كانت هناك نصوص من الكتاب المقدس تلغي الخلاف لما صدر مثل هذا الحكم. وهم أنفسهم يقولون أننا بحاجة إلى مجمع مسكوني لحل هذا الخلاف، يقول وهيب عطا الله: "ولا شك في أننا في حاجة ماسة إلى مجمع مسكوني عام يضع صيغة هذا التعبير الموحد- طبيعة المسيح- ولكن إلى أن تتحقق هذه الأمنية يجب أن نرحب بالمؤتمرات، فإنها السبيل الوحيد للتقريب بين اللاهوتيين في الوقت الحاضر لتقريب وجهات النظر"[5].

---

(1) "طبيعة المسيح"، شنودة، ص: 16.

(2) لوقا1/28-30.

(3) "تعليم الكنيسة الإسكندرية فيما يخص طبيعة المسيح"، وهيب عطا الله جرجس، ص: 26-27.

(4) "سرى التجسد والفداء، غريغوريوس، ج2، ص: 39.

(5) "تعليم الكنيسة الإسكندرية فيما يخص طبيعة المسيح"، وهيب عطا الله، ص: 28.

وهذا كلام في غاية الأهمية فهم إلى حد الآن يعترفون بأن هناك خلافا، ولحله هم في حاجة إلى مجمع مسكوني، لكن في غياب تحقيق هذا، يبقى السبيل هو عقد المؤتمرات للتقريب بين اللاهوتيين لتقريب وجهات النظر، وكأن الأمر خلاف سياسي، ثم إن العقيدة ينبغي أن تبنى على نصوص واضحة مصدرها الوحي المسيحي، حتى تكون عقيدة مؤصلة، لا على وجهات النظر.

ج - أسباب التجسد

من أسباب التجسد كما يعتقد المسيحيون هناك سببين وهما:

أولها: التجسد من أجل الخلاص: يقول الأسقف غريغوريوس: "نحن نعترف بأن المسيح، له كل المجد، عندما تجسد كان الهدف خلاص الإنسان. فالتجسد وسيلة لغاية والغاية هي خلاص الإنسان، لأن الإنسان لما سقط في الخطيئة أصبح مطرودا من الفردوس ومحكوما عليه بالموت"[1]. وهذا السبب غير صحيح، لأن الكتاب المقدس يؤكد أن من يرتكب خطأ يعاقب عليه هو فقط وليس غيره، جاء في سفر حزقيال: (النَّفْسُ الَّتِي تُخْطِئُ هِيَ تَمُوتُ. الابْنُ لاَ يَحْمِلُ مِنْ إِثْمِ الأَبِ وَالأَبُ لاَ يَحْمِلُ مِنْ إِثْمِ الابْنِ)[2]. وبهذا النص يتضح أن التجسد من أجل الخلاص لا يستقيم ونص الكتاب المقدس[3].

ثانيهما: التجسد ضروري لمعرفة الله: يقول جوش مكدويل: "ما كان لنا أن نعرف الله لو لم ينزل إلينا...وقد نزل إلينا مدفوعا بمحبته. أراد أن يفتح طريقا لكي يعطي مجالا لجميع الناس أن يعرفوه"[4]. ويستشهد مكدويل بنص العبرانيين: (الَّذِي، وَهُوَ بَهَاءُ مَجْدِهِ، وَرَسْمُ جَوْهَرِهِ)[5]. ثم يعلق ناقلا عن جوزيف هـ.ثاير قائلا: "هذا التعبير كان يستخدم للدلالة على الأثر الذي يتركه ختم على شمع أو معدن. إنه الدمغة المطابقة تماما لطبيعة الختم الأصلي من كل ناحية"[6].

وقبل التعليق على هذا القول أورد تفسيرا لنص العبرانيين كما فسرته الموسوعة الكنسية التي تقول: رسم جوهره: "إثبات آخر للاهوت المسيح، فجوهر الله

---

(1) "لاهوت عقيدي سرى التجسد والفداء، غريغوريوس، ص: 13.

(2) سفر حزقيال18/20.

(3) سيأتي الحديث عن موضوع الخطيئة ودحضها في الفصل الثالث في ضوء مناقشة اعتقاد المسيحيين بصلب المسيح

(4) "حقيقة لاهوت يسوع المسيح"، مكدويل، ص:17.

(5) الرسالة إلى العبرانيين1/3.

(6) "حقيقة لاهوت يسوع المسيح"، مكدويل، ص: 65.

قد ظهر رسمه وشكله في المسيح المتجسد، فهو ذات جوهر الله ظهر بشكل منظور للبشر في ملء الزمان، فالرسم ليس شيئا آخر أو منفصلا أو أقل"[1].

تفسير نص العبرانيين على هذا النحو يشكل خطرا على العقيدة المسيحية ويضربها في الصميم لتعارضه مع النص الواضح، جاء في سفر الخروج: (لأَنَّ الْإِنْسَانَ لاَ يَرَانِي وَيَعِيشُ، يعني أنه من يرى الله يموت، لكن الله لم يره أحد كما في يوحنا: (اَللَّهُ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ قَطُّ. اَلاِبْنُ الْوَحِيدُ الَّذِي هُوَ فِي حِضْنِ الآبِ هُوَ خَبَّرَ)[2].

وظهور جوهر الله على شكل بشر يرفضه الأسقف غريغوريوس في معرض حديثه عن قول يوحنا والكلمة صار جسدا، يقول: "إن الصيرورة هنا يجب أن تحمل على معنى ظاهري لا حقيقي، لأن الكلمة هو الله ظاهرا في الجسد. ولا شك أن في هذا تحول ولكن تحول في المظهر لا في الجوهر، وعلى ذلك فقوله "صار جسدا" معناه اتخذ جسدا"[3]. وبهذا بطل قولهم: إنه تجسد لكي يعرفه الناس؛ لأنه لو تجسد الله فعلا لماتت البشرية بناء على النص في سفر الخروج.

د - أدلة التجسد

من النصوص التي يحتج بها المسيحيون على تجسد الله[4] نذكر الآتي:

- يوحنا: (وَالْكَلِمَةُ صَارَ جَسَداً وَحَلَّ بَيْنَنَا)[5].
- رسالة يوحنا الأولى: (وَالَّذِينَ يَشْهَدُونَ فِي الأَرْضِ هُمْ ثَلاَثَةٌ: الأب، وَالكلمة، والروح القدس. وَالثَّلاَثَةُ هُمْ فِي الْوَاحِدِ)[6]
- ثيموثاوس: (وَبِالإِجْمَاعِ عَظِيمٌ هُوَ سِرُّ التَّقْوَى: اللهُ ظَهَرَ فِي الْجَسَدِ)[7].

هذه هي النصوص التي تعد الركيزة لإثبات التجسد. وهي نصوص تحتاج إلى شرح لكشف المعنى الحقيقي.

---

(1) "الموسوعة الكنسية لتفسير العهد الجديد"، من العبرانيين حتى رؤيا يوحنا، إعداد وتفسير مجموعة من كهنة وخدام الكنيسة، نشر كنيسة مارمرقص القبطية مصر، ط1، 2005، ج5، ص: 6.

(2) يوحنا1/18.

(3) "اللاهوت العقيدي لاهوت السيد المسيح، غريغوريوس، ص: 800.

(4) هناك أعداد أخرى إلا ما يلاحظ هو أن الكتاب المسيحيين يختارون أعدادا دون أخرى سيأتي بيان أثناء المناقشة والرد.

(5) إنجيل يوحنا1/14.

(6) رسالة يوحنا الأولى5/7.

(7) رسالة بولس إلى أهل ثيموثاوس الأولى3/16.

فنص يوحنا يعتبر أن الكلمة الأقنوم الثاني هو الذي صار جسدا. وقبل مناقشة النص لا بد من الحديث عن الكلمة.

تاريخ الكلمة:

هذا المفهوم يرجع استعماله إلى اليونانيين، يقول سبرول: "الاستعمال الفلسفي أضفى ثراء على معنى اللوغوس – أي الكلمة-، فقد اهتم اليونانيون القدامى بفهم معنى للكون، وهكذا انهمكوا في بحث عن الحقيقة المطلقة (ما وراء الطبيعة) فقد بحث فلاسفتهم عن العامل الموحد أو القوة التي أوجدت النظام والتناغم بين التنوع الواسع للعالم المخلوق (علم الكونيات) بحثوا عن (a nous) أي عقل يمكنهم أن يعزوا له نظام كل الأشياء وعلى هذه الحقيقة أطلق اليونانيون اسم اللوغوس)[1].

فلفظ اللوغس استخدمه اليونانيون على أنه مصدر الوجود. وفي محاولة للتهرب من ربط اللوغس اليوناني بإنجيل يوحنا يقول متى المسكين: "القديس يوحنا لم يستلف اللوغس من اليونان...بل لوغس القديس يوحنا هو المسيح وقد أدركه القديس يوحنا من أقواله وتعليمه ثم استلمه بالرؤيا وتكلم عنه كما يتكلم الإنسان عن شخص يراه"[2]. وقوله هذا لا يوافق عليه أهل ديانته فهناك من يرى أن يوحنا استغل بحث اليونان عن الخالق والمنظم للكون ونادى بـ : أن الكلمة المسيح القوة الخالقة.

وهذا ما قاله وليام باركلي: "أتى يوحنا إلى اليهود واليونانيين على السواء ليخبرهم بأن يسوع المسيح هو كلمة الله القوة الخالقة، الحافظة، المسيطرة، المنيرة لكل عقل، قد أتى في ملء الزمان، ولبس جسم بشريتنا، وما عليهم بعد أن يرهقوا عقولهم في البحث، والتنقيب إلا أن يتطلعوا بالإيمان إلى يسوع المسيح. ليلمسوا فكر الله المتجسد الحي في شخصه المبارك"[3].

معنى الكلمة

يفسر المسيحيون الكلمة بأن الله ظهر في الجسد ...أي "المسيح ابن الله الكلمة أخذا ناسوتا كاملا من العذراء مريم"[4]. لكن البابا شنودة يقول غير هذا، فالكلمة عنده: "عقل الله الناطق أو نطق الله العاقل فهي تعني العقل والنطق معا"[5].

---

(1) "حقائق وأساسيات الإيمان المسيحي"، سبرول، ص: 140.

(2) "المدخل لشرح إنجيل القديس يوحنا دراسة وتحليل"، الأب متى المسكين، ص: 195.

(3) "شرح بشارة يوحنا"، وليم باركلي، ص: 49، ينظر إنجيل يوحنا في الميزان، علي زهران، تقديم: سعد الدين السيد صالح، الناشر دار الأرقم القاهرة، 1992، ص: 240.

(4) "الكنيسة المسيحية في عصر الرسل"، الأنبا يؤانس، ط2، ماي 1987، ص: 264.

(5) "لاهوت المسيح"، شنودة، ص: 8.

عدم الاتفاق يدل على عدم إدراك المقصود. وهذا ما يجعل العقيدة في خطر نظرا لانعدام تفسير للنص بشكل واضح، لأنه من غير الممكن القول: إن الله قد تسجد، ثم القول مرة أخرى عقل الله هو المتجسد، فكيف لعقل الله أن ينفصل عنه؟ وكيف يتم التوفيق بين قولهم مريم والدة الإله ووالدة عقل الله؟ أضف إلى ذلك غياب النص من الكتاب المقدس الذي يؤيد قولهم.

بعد هذه اللمحة عن الكلمة والتي بينت فيها أن كاتب إنجيل يوحنا استقاها من الفكر اليوناني بغية جعل المسيح هو الإله المتجسد لا غير. ثم كشفت كذلك عن الاختلاف في كلمة اللوغس حسب المراجع المسيحية، مما يجعل القول بتجسد الإله مسألة لا تستند إلى دليل يقويها سوى أقاويل واجتهادات تناقض بعضها البعض. أنتقل إلى الحديث عن المواضع التي دعي فيها المسيح بالكلمة.

المواضع التي دعي فيها المسيح بالكلمة:

في إطار الحديث عن التجسد نجد كل كاتب أو مفسر يتناول أعدادا ويهمل أخرى وغيره يعتمد عليها كحجة على التجسد. ومن هؤلاء أذكر:

- "قاموس الكتاب المقدس" تحت عنوان "كلمة" يقول: "يقصد بالكلمة السيد يسوع المسيح، ولم ترد هذه اللفظة بهذا المعنى إلا في: يوحنا [1](1/1-14) ورسالة يوحنا الأولى[2]1/1، ورؤيا يوحنا[3]13/19"[4].
- البابا شنودة يتفق مع قاموس الكتاب المقدس في نص يوحنا ونص رؤيا يوحنا ويورد نصا آخر هو ما جاء في رسالة يوحنا الأولى(7/5: 8وَالَّذِينَ يَشْهَدُونَ فِي السماء هُمْ ثَلاَثَةٌ: الأب، وَالكلمة، والروح القدس. وَالثَّلاَثَةُ هُمْ فِي الْوَاحِدِ). واعتبر البابا (هذه هي المواضع الثلاثة التي ورد فيها تسمية المسيح بالكلمة مخالفا قاموس الكتاب المقدس"[5].
- وليم أدي: يتفق مع قاموس الكتاب المقدس في النص الأول (1يوحنا/1-14) والنص الثالث(رؤيا يوحنا13/19) لكن أضاف النص الوارد في الرسالة إلى العبرانيين فقد جاء فيه: (لأَنَّ كَلِمَةَ اللهِ حَيَّةٌ وَفَعَّالَةٌ)[6]. وقال: "لم ترد تسميته بالكلمة في غير هذا الموضع- يقصد به يوحنا1/1-14- إلا في العبرانيين ورؤيا يوحنا"[7].

هذه ثلاثة نماذج لم تتفق كليا – وإن كان هناك اتفاق جزئي- على المواضع التي سمي فيها المسيح بالكلمة، فكل كاتب تفرد بنص عن غيره، مؤكدا في نفس الوقت أن المواضع التي ذكرها هي الأصل ولم توجد في غير ما حدد. وهذا يدل على عدم اقتناع الكاتب بما ذكره غيره، هذا مع العلم أن هذه النصوص فيها نظر وبيان ذلك كالآتي.

---

(1) إنجيل يوحنا1/1-14، (فِي الْبَدْءِ كَانَ الْكَلِمَةُ، وَالْكَلِمَةُ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ، وَكَانَ الْكَلِمَةُ اللَّهَ.2هَذَا كَانَ فِي الْبَدْءِ عِنْدَ اللَّهِ... وَالْكَلِمَةُ صَارَ جَسَداً وَحَلَّ بَيْنَنَا).

(2) رسالة يوحنا الأولى1/1، (اَلَّذِي كَانَ مِنَ الْبَدْءِ، اَلَّذِي سَمِعْنَاهُ، اَلَّذِي رَأَيْنَاهُ بِعُيُونِنَا، اَلَّذِي شَاهَدْنَاهُ، وَلَمَسَتْهُ أَيْدِينَا، مِنْ جِهَةِ كَلِمَةِ الْحَيَاةِ).

(3) رؤيا يوحنا13/19، (وَهُوَ مُتَسَرْبِلٌ بِثَوْبٍ مَغْمُوسٍ بِدَمٍ، وَيُدْعَى اسْمُهُ «كَلِمَةَ اللهِ).

(4) "قاموس الكتاب المقدس"، جورج، ج2، ص: 265.

(5) "لاهوت المسيح"، شنودة، ص: 8

(6) رسالة بولس إلى العبرانيين12/4.

(7) "الكنز الجليل في تفسير الإنجيل الجزء الثالث شرح إنجيل يوحنا"، وليم أدي، صدر عن مجمع الكنائس في الرشق الأدنى بيروت1973، ص: 9.

- نص إنجيل يوحنا

يعد نص يوحنا من النصوص المهمة في إثبات تجسد الإله – حسب اعتقاد المسيحيين- فإذا تصفح الباحث أي كتاب يتحدث عن التجسد فسيجد هذا العدد، لذا سأتوقف مع هذا النص مليا حتى تتضح الصورة جيدا.

النص في يوحنا يقول: "فِي الْبَدْءِ كَانَ الْكَلِمَةُ، وَالْكَلِمَةُ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ، وَكَانَ الْكَلِمَةُ اللَّهَ.2هَذَا كَانَ فِي الْبَدْءِ عِنْدَ اللَّهِ... وَالْكَلِمَةُ صَارَ جَسَداً وَحَلَّ بَيْنَنَا". فهل فعلا النص يصلح دليلا على التجسد؟

يقصد بالبدء وفق معتقد المسيحيين أزلية المسيح وأنه ليس له بداية، وهو الخالق، لأن الكلمة في اعتقادهم هو الله. يقول الأنبا غريغوريوس تحت عنوان "الكلمة هو الله": "ينفرد الإنجيل عند القديس يوحنا بأنه لا يكلم الناس عن ميلاد السيد المسيح من عذراء....الإنجيل على يد القديس يوحنا قصد بأن ينبه إلى أن السيد المسيح قبل أن يظهر كإنسان، في صورة ابن الإنسان يسوع، كان له وجود قبل الزمان، وجود أزلي مع الآب في السماء قبل أن ينزل إلى الأرض متجسدا...إن المسيح قبل أن يولد من مريم كان هو الكائن منذ الأزل، إله مريم، وخالق مريم وكل الخليقة"[1].

بناء على "كلمة البدء" ربط الأسقف الكلمة المتجسد بالأزل، ولفظة "البدء هي نفسها الواردة في سفر التكوين"[2]. نقول إذا، إن ربط البدء الموجود في يوحنا بسفر التكوين ليس في صالح المعتقد المسيحي.

جاء في سفر التكوين: (فِي الْبَدْءِ خَلَقَ اللهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ)[3]. أي في البداية خلق السموات والأرض، والنص العبري أكثر دلالة على هذا وهو كالتالي.

- (בְּרֵאשִׁית، בָּרָא אֱלֹהִים، אֵת הַשָּׁמַיִם، וְאֵת הָאָרֶץ)[4].

ومعنى "בְּרֵאשִׁית" حسب معجم قوجمان: "البدء، البداية"[5].

- ترجمة اليديش للعهد الجديد نفس اللفظ هكذا בְּרֵאשִׁית. (בְּרֵאשִׁית הָיָה הַדָּבָר וְהַדָּבָר הָיָה אֶת־הָ אֱלֹהִים)[6] .

---

(1) "الكتاب المقدس تفسير إنجيل القديس يوحنا"، الأنبا غريغوريوس، نشر جمعية الأنبا غريغوريوس أسقف البحث العلمي، ط2005، القاهرة، ص: 42.

(2) "الكنز الجليل في تفسير الإنجيل الجزء الثالث شرح إنجيل يوحنا"، وليم أدي، ص: 9.

(3) سفر التكوين1/1.

(4) http://www.sefarim.fr/

(5) "יחזקאל קוגמן، מילון עברי – ערבי"، نشر دار الجيل بيروت، 1975، ص: 82.

(6) "העתקה חדשה מלשון יון ללשון עברית، מאת، יצחק זאלקינסאן"، ص: 69.

إذا، فكلمة البدء تعني البداية، وليس الأزل. ولا مجال لربط الكلمة في يوحنا بالأزل، وبالتالي يكون تفسير الأسقف غريغوريوس غير صائب وخاطئ.

هذا فيما يخص الجزء الأول من يوحنا، وفيما يتعلق بالجزء الثاني القائل: (وَالْكَلِمَةُ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ)، فإذا رُبط بالجزء الأول يكون المعنى هكذا، في البدء كان الله والله كان عند الله. وهذا لا يستقيم.

ومن الضروري الرجوع إلى التفسير، يقول الأسقف غريغوريوس: "وأما قول يوحنا إن الكلمة كان لدى الله- عند- فمعناه أن الكلمة أزلي لأنه منذ البدء. وليس ثمة إلهان أزليان، فليس الكلمة مستقلا بوجوده وكيانه عن الله، وليس منفصلا عنه قائما بذاته، إنما الكلمة لدى الله، أي كائن فيه ومعه...فالكلمة هو العقل الإلهي متجسدا"[1]. فالأسقف بعدما قال سابقا إن الكلمة هو الإله الخالق، يعود الأن ليقول أن الكلمة هي العقل الإلهي. ثم كيف يتم قبول القول، بناء على هذا التفسير أن عقل الله هو الإله المتجسد؟

وهنا أجد القس إبراهيم سعيد يخالف الأسقف غريغوريوس إذ يقول: "وكان الكلمة عند الله، هذا برهان قاطع على أن المسيح ذو شخصية مستقلة في كيانه، وأن له أقنوما متحدا بالله من غير امتزاج، مستقلا عنه من غير انفصال"[2].

فأي التفسيرين يمكن الأخذ به؟ فالأسقف غريغوريوس يقول فليس الكلمة مستقلا بوجوده وكيانه عن الله، وليس منفصلا عنه قائما بذاته. والقس إبراهيم سعيد قال: هذا برهان قاطع على أن المسيح ذو شخصية مستقلة في كيانه.

إن هذا يبين أن قولهم بتجسد الله لا دليل عليه، بحكم تناقض التفاسير وعدم وجود نص قوي واضح. وبناء عليه، لا معنى لقولهم الكلمة كان عند الله، هو الله في الأزل.

والآن إلى الجزء الثالث من إنجيل يوحنا وهو: (وَكَانَ الْكَلِمَةُ اللَّهَ). هذا العدد فيه خلاف بين المسيحيين أنفسهم وبيانه كالتالي:

تفسير العدد: "يقول القديس يوحنا وكان الكلمة هو الله، وذلك لأن الكلمة هو الله متجسدا، فالله بطبيعته غير منظور، وإذ صار منظورا في المسيح لم يتغير في طبيعته، لأنه ليس جسدا وإنما استتر في جسد أي احتجب في جسد، واتخذ جسدا، ومع ذلك فإنه لم يزل هو الله بذاته...إن المسيح كان ولم يزل إلها، وذلك لأن تجسده لم يغير طبيعته الإلهية"[3]. يظهر بأن النص لا غبار عليه سوى أنه دليل على المسيح الإله المتجسد، فهل الأمر كذلك؟

---

(1) "الكتاب المقدس تفسير إنجيل القديس يوحنا"، غريغوريوس ، ص:44.

(2) "شرح بشارة يوحنا"، القس ابراهيم سعيد، ط4، دار الثقافة مصر، ص: 29.

(3) "الكتاب المقدس تفسير إنجيل القديس يوحنا"، غريغوريوس، ص: 45.

نقرأ في الموسوعة الكنسية هناك اتهام لشهود يهوه بأنهم يحرفون النص لصالحهم، تقول الموسوعة: "اهتم إنجيل يوحنا بإبراز الميلاد الأزلي للسيد المسيح، لأن شاغله الأول كان إثبات لاهوت المسيح ولا توجد آية أقوى من: وكان الكلمة الله، لذا نجد جماعة مثل شهود يهوه، الناكرين للمسيحية ولاهوت المسيح، يغيرون في كتاباتهم منطوق هذه الآية إلى: وكان الكلمة كإله"[1]. وهذا اتهام غير مبني على دليل وينم عن قلة الإلمام بموضوع التجسد وعدم فهمه.

فشهود يهوه لم يغيروا النص، وإنما النص كان يجب أن يكون هكذا: و"كان الكلمة إلها". والدليل على لسان متى المسكين إذ يقول في تفسيره: "وكان الكلمة الله: هنا كلمة الله جاءت في الأصل اليوناني غير معرفة بـ "أل" بعكس الجملة السابقة وكان الكلمة عند الله حيث كلمة الله معرفة بـ "أل". ففي الجملة الأولى الكلمة كان عند الله نجد أن الكلمة معرفة بـ "ال" والله معرف بـ "أل" توضيحا أن لكل منهما وجوده الشخصي، وحيث الله المعرف بـ أل يحمل معنى الذات الكلية. أما في الجملة الثانية فالقصد من قوله وكان الكلمة الله هو تعيين الجوهر، أي طبيعة الكلمة أنها إلهية. ولا يقصد تعريف الكلمة أنه هو الله من جهة الذات"[2].

فنص متى المسكين يدحض قول الموسوعة التي اتهمت شهود يهوه بالتحريف، ويدحض في نفس الوقت تفسير الأسقف غريغوريوس الذي اعتبر الكلمة هو المسيح الإله المتجسد، لأن متى المسكين اعتبر أن طبيعة الكلمة إلهية وليس هو الله.

ويضيف متى المسكين وهو كلام في غاية الأهمية قائلا: "وهنا يحذّر أن تقرأ الله معرفا بـ أل في وكان الكلمة الله، وإلا يكون لا فرق بين الكلمة والله وبالتالي فلا فرق بين الآب والابن....وهنا يقابلنا قصور مكشوف في اللغة العربية فلا توجد كلمة الله بدون التعريف أل"[3].

هذا التفسير كشف الحقيقة بأن "الكلمة" هو غير الله لذلك النص يكون "وكان الكلمة إلها"، وبهذا لا يصلح نص يوحنا دليلا على تجسد المسيح الإله الكلمة كما يعتقدون. فبقيت إذا كلمة "إلها" نكرة غير معرفة.

---

(1) "الموسوعة الكنسية لتفسير العهد الجديد الجزء الثاني، بشارتي لوقا ويوحنا"، إعداد وتفسير مجموعة من كهنة وخدام الكنيسة، نشر كنيسة مارمرقص القبطية مصر، ط1، نوفمبر 2004، ص: 285.

(2) "الإنجيل بحسب القديس يوحنا دراسة وتفسير وشرح"، متى المسكين، مطبعة دير الانبا مقار مصر، ط1، 1990، ص: 35.

(3) "الإنجيل بحسب القديس يوحنا دراسة وتفسير وشرح"، متى المسكين، ص: 35.

أما فيما يخص فهم متى المسكين أن اللغة العربية لا يوجد بها كلمة الله بدون ألـ. فأقول الأمر لا يتعلق بقصور وإنما يتعلق بالمترجمين الذين يريدون خدمة العقيدة حسب هواهم.

وتجدر الإشارة إلى أنه توجد ترجمة عربية، تجاهلها الأب متى المسكين، وهي ترجمة عربية للنص القبطي صدرت سنة 1935 وفيها ترجم نص يوحنا هكذا: "وإلها كان الكلمة".

فيقال إذا للمسيحيين إن مصادركم تشهد بأن الكلمة ليست هي المسيح الإله فبطل الاستشهاد بيوحنا وبطل معه القول بتجسد المسيح الإله.

وأختم نص يوحنا بمناقشة قوله: "وَالْكَلِمَةُ صَارَ جَسَداً وَحَلَّ بَيْنَنَا".

بخصوص هذا العدد فقد طرح سؤال على الأسقف غريغوريوس حول مدلول الصيرورة، وكانت اجابته كالآتي: "إن الصيرورة هنا يجب أن تحمل على معنى ظاهري لا حقيقي، لأن الكلمة هو الله ظاهرا في الجسد. ولا شك أن هذا تحول ولكن تحول في المظهر لا في الجوهر، وعلى ذلك فقوله "صار جسدا" معناه اتخذ جسدا"[1]. لكن هناك من يخالف الأسقف في تفسيره من أهل ديانته ولا يرى ذلك تحول في المظهر، تقول الموسوعة الكنسية: "صار لا تعني تحول اللاهوت إلى جسد مادي، أو محدوديته بجسد مادي، بل تعني: اتحد به"[2].

ما يلاحظ على هذه التفاسير، هو أن الأسقف غريغوريوس يتناقض مع نفسه ويطعن في قضية التجسد، دون أن يلقي إلى ذلك بالا، لأنه قال: إن معنى الصيرورة تحمل على معنى ظاهري وعليه فالتجسد ليس حقيقيا، لكن عاد مستدركا بالقول إن التحول كان في المظهر. أما الموسوعة الكنسية وقولها بالاتحاد لا يستقيم وسياق النص القائل بالصيرورة أي التحول لا الاتحاد.

ومن بين الأمثلة التي أعطيت لتوضيح تجسد المسيح الإله وهو مثال خطير يقول جوش مكدويل: "لماذا يصير الله إنسانا؟ وللإجابة نقدم مثلا عن فلاح يحرث حقله، وتلاحظ عش نمل في طريق المحراث، ولنفترض أنك تحب النمل، فتفكر أن تجري إليهم لتحذيرهم، وتصرخ محذرا، لكنهم يستمرون في عملهم، فتستعمل لغة الإشارة، وكل وسيلة أخرى تعرفها، ولكن النمل لا ينتبه. لماذا؟ لأنك عاجز عن الاتصال بهم. فماهي أفضل طريقة لذلك؟ هي أن تصير نملة فيفهمون ما تقول"[3].

---

(1) "اللاهوت العقيدي لاهوت السيد المسيح، غريغوريوس، ص: 800.

(2) "الموسوعة الكنسية لتفسير العهد الجديد الجزء الثاني، بشارتي لوقا ويوحنا"، ص: 287.

(3) "برهان جديد يتطلب قرارا"، مكدويل، ص:134.

يضيف مكدويل: "ولما أراد الله أن يتصل بنا، وجد أن أفضل طريقة هي أن يصير إنسانا مثلنا، فيكون على اتصال مباشر بنا"[1].

قلت إن هذا المثال جد خطير لأنه يجعل من "الصيرورة" التحول الحقيقي وهذا لا يسلم له به أهل ديانته. والأكثر من هذا كله أنه يوجد نص يدحض أي تفسير يقول بالتحول كيفما كان، جاء في سفر ملاخي: (لأَنِّي أَنَا الرَّبُّ لاَ أَتَغَيَّر)[2].

بعد إبطال اعتقاد المسيحين بتجسد المسيح، أعود إلى النص، لكشف التلاعب به.

ففي ترجمة الملك جيمس King James جاء النص بخلاف الترجمة العربية هكذا:

-(And the Word was made flesh).

وترجمته: والكلمة صنع- خلق جسدا.

وهذا أيضا ما ذكره الإمام الغزالي بأن الأصل القبطي هو صنع فيقول: "وقول يوحنا في آخر الفصل: "والكلمة صار جسدا"...لا بد من حكاية وضع هذا اللفظ كيف كان في القبطي، ليعلم بذلك زللهم وعدولهم عن مقتضى وضعه، وصرفُهم وضعَه عن مفهومه الموافق إلى مفهوم مصادم لبديهة العقل. وضع هذا اللفظ: "وه بيصاجي أفأر أو صركيس". مفهوم هذه الكلمات في القبطي: والكلمة صنع جسدا، لأن "أفأر" مفهومها في القبطي: صنع"[3]. وعليه فالحديث عن الصيرورة وتحول الكلمة – المسيح- وتجسده يبقى بدون معنى. لأن كلمة "صنع" غيرت مجرى النص، والسؤال هنا: ماذا يستفاد ويستنتج ويفهم من قول النص: "والكلمة صنع جسدا"؟

وللإجابة عن هذا السؤال لا بد من الرجوع إلى العهد القديم حيث جاء في سفر المزامير: (بِكَلِمَةِ الرَّبِّ صُنِعَتِ السَّمَاوَاتُ... 9لأَنَّهُ قَالَ فَكَانَ. هُوَ أَمَرَ فَصَار)[4].

"فالكلمة" هي الأمر الإلهي "كن فيكون" الذي به يخلق الله ما يشاء من الكائنات"[5]، وبالتالي فيكون معنى "والكلمة صنع جسدا" أي أنه بالأمر الإلهي تم خلق إنسانا بشرا، ومن ثمة فالمسيح ليس الكلمة وإنما هو مخلوق بها "كن فيكون".

---

(1) نفسه.

(2) سفر ملاخي6/3.

(3) "الرد الجميل لألهية عيسى بصريح الإنجيل"، الإمام الغزالي، ضبط نصه وعلق عليه أبو عبد الله السلفي الداني بن منير آل زهوي، المكتبة العصرية صيدا بيروت، ص: 87 .

(4) سفر المزامير33/6،9.

(5) "التوحيد في الأناجيل الأربعة وفي رسائل القديسين بولس ويوحنا"، سعد رستم، دار صفحات للدراسات والنشر، ط2007، ص: 235-236.

وبناء على كل هذه الأدلة الواضحة تتضح حقيقة نص إنجيل يوحنا، ومن ثمة، فالاستدلال به على تجسد المسيح الإله الكلمة، يعد مضيعة للوقت وتحريفا للنص عن مقصوده كما هو بيِّن أعلاه.

لننتقل إلى مناقشة بقية النصوص التي ذكرتها آنفا:

- نص رسالة يوحنا الأولى الذي تفرد به قاموس الكتاب المقدس أثناء حصره مواضع تسمية المسيح بالكلمة، والنص هو: (اَلَّذِي كَانَ مِنَ الْبَدْءِ، اَلَّذِي سَمِعْنَاهُ، اَلَّذِي رَأَيْنَاهُ بِعُيُونِنَا، اَلَّذِي شَاهَدْنَاهُ، وَلَمَسَتْهُ أَيْدِينَا، مِنْ جِهَةِ كَلِمَةِ الْحَيَاةِ).

"فكلمة الحياة" حسب قاموس الكتاب المقدس تدل على المسيح الكلمة المتجسد، وهذا في الحقيقة غير صحيح، وهذه النقطة تناولها الباحث علي زهران، وبرهن على ذلك باعتماده على النصوص، يقول[1]: "وكلمة الحياة" المقصودة هنا ليست هي الكلمة المتجسد الذي يقصده مؤلف الإنجيل الرابع. فصاحب رسالة يوحنا الأولى التي معنا يقول: أيضا: الذي رأيناه وسمعناه نخبركم به، والمقصود بذلك هو التعاليم الجديدة والوصايا القديمة في قوله: (أَيُّهَا الإِخْوَةُ، لَسْتُ أَكْتُبُ إِلَيْكُمْ وَصِيَّةً جَدِيدَةً، بَلْ وَصِيَّةً قَدِيمَةً كَانَتْ عِنْدَكُمْ مِنَ الْبَدْءِ. الْوَصِيَّةُ الْقَدِيمَةُ هِيَ الْكَلِمَةُ الَّتِي سَمِعْتُمُوهَا مِنَ الْبَدْءِ. 8أَيْضاً وَصِيَّةً جَدِيدَةً أَكْتُبُ إِلَيْكُمْ)[2]. فهذا النص خاص بالوصايا ولا علاقة له بالكلمة المتجسد[3].

- نص رؤيا يوحنا والذي استشهد به قاموس الكتاب المقدس ووافقه في ذلك البابا شنودة ووليم أدي (وَهُوَ مُتَسَرْبِلٌ بِثَوْبٍ مَغْمُوسٍ بِدَمٍ، وَيُدْعَى اسْمُهُ «كَلِمَةَ اللهِ). قبل مناقشة النص يجب معرفة كاتب هذا السفر.

إن كاتب سفر الرؤيا غير معروف، والدليل هو مقدمة الترجمة اليسوعية لهذا السفر إذ تقول: "لا يأتينا سفر رؤيا يوحنا بشيء من الإيضاح عن كاتبه، ولم يذكر قط أنه أحد الاثني عشر، هناك تقليد على شيء من الثبوت وقد عثر على بعض آثاره منذ القرن الثاني، وورد فيه أن كاتب الرؤيا هو الرسول يوحنا، بيد أنه ليس في التقليد القديم إجماع على هذا الموضوع، وقد بقي المصدر الرسولي لسفر الرؤيا عرضة للشك"[4]. فالسفر الذي يحتج به لصالح العقيدة هو سفر مشكوك في كاتبه بل غير معروف.

---

(1) "إنجيل يوحنا في الميزان"، علي زهران، ص: 243.

(2) رسالة يوحنا الأولى2/7-8.

(3) للمزيد من المعلومات ينظر تفسير: "تفسير العهد الجديد رسائل يوحنا ويهوذا"، وليم باركلي، ترجمة جسار المنفلوطي، نشر دار الثقافة المسيحية القاهرة، ص: 76.

(4) الكتاب المقدس، الرهبنة اليسوعية، مقدمة سفر الرؤيا، ص: 796.

وتحت عنوان "بنية سفر الرؤيا" تضيف الترجمة اليسوعية: "فالتفسير الزمني تؤيده العادات الجارية في الأدب الرؤيوي، ولكنه يستدعي لحل بعض المشكلات، قبول تبديل مكان عدة رؤى، أو القبول بأنها أضيفت"[1].

إذا، فالسفر نفسه يعاني من مشكلة، فبالإضافة إلى الجهل بالكاتب، هناك مشكلة الرؤى؛ لأن المصادر تقول: لتفسير السفر هناك خياران، إما تبديل أماكن الرؤى، وإما التسليم بأنها مضافة. وأمام هذه المعطيات فإن السفر أصبح لا شيء، فيسقط الاحتجاج به لإثبات أن المسيح الكلمة المتجسد.

ورغم هذه الإشكالات أعود إلى النص كما يستشهدون به، لكن دون حذف وإنما أثبت النص كاملا حتى يفهم النص في سياقه على ما في ذلك من غموض: (ثُمَّ رَأَيْتُ السَّمَاءَ مَفْتُوحَةً، وَإِذَا فَرَسٌ أَبْيَضُ وَالْجَالِسُ عَلَيْهِ يُدْعَى أَمِيناً وَصَادِقاً، وَبِالْعَدْلِ يَحْكُمُ وَيُحَارِبُ.12وَعَيْنَاهُ كَلَهِيبِ نَارٍ، وَعَلَى رَأْسِهِ تِيجَانٌ كَثِيرَةٌ، وَلَهُ اسْمٌ مَكْتُوبٌ لَيْسَ أَحَدٌ يَعْرِفُهُ إِلا هُوَ. 13 وَهُوَ مُتَسَرْبِلٌ بِثَوْبٍ مَغْمُوسٍ بِدَمٍ، وَيُدْعَى اسْمُهُ «كَلِمَةَ اللهِ». 14 وَالأَجْنَادُ الَّذِينَ فِي السَّمَاءِ كَانُوا يَتْبَعُونَهُ عَلَى خَيْلٍ بِيضٍ، لابِسِينَ بَزّاً أَبْيَضَ وَنَقِيّاً. 15 وَمِنْ فَمِهِ يَخْرُجُ سَيْفٌ مَاضٍ لِكَيْ يَضْرِبَ بِهِ الأُمَمَ. وَهُوَ سَيَرْعَاهُمْ بِعَصاً مِنْ حَدِيدٍ، وَهُوَ يَدُوسُ مَعْصَرَةَ خَمْرِ سَخَطِ وَغَضَبِ اللهِ الْقَادِرِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ. 16وَلَهُ عَلَى ثَوْبِهِ وَعَلَى فَخْذِهِ اسْمٌ مَكْتُوبٌ: «مَلِكُ الْمُلُوكِ وَرَبُّ الأَرْبَابِ»)[2]. فالنص المسطر عليه يبدو أنه في غير المسيح، فالراكب على الفرس ليس هو المسيح لأن المسيح لم يحارب أحدا بل لم يستطع حتى مقاومة اليهود الذين قتلوه.

ثم إن قولهم "وله اسم مكتوب لا يعرفه إلا هو"، فإذا كان الأمر هكذا فلماذا يتم ربطه بالمسيح. ثم يأتي النص بعد ذلك فيقول "ويدعى اسمه كلمة الله" وهو نفى أن له اسما لا يعرفه أحد إلا هو. ومن متناقضات النص" يدوس معصرة خمر"، وهذا يصطدم مع قولهم أن المسيح إله لأنه حول الماء إلى خمر كما يوحنا2/1-11.

بعد هذا بقي لي نصان؛ واحد انفرد به شنودة وثان لوليم أدي.

- النص عند شنودة هو: ما جاء في رسالة يوحنا الأولى (7/5): (وَالَّذِينَ يَشْهَدُونَ فِي الأَرْضِ هُمْ ثَلاَثَةٌ: الأب، وَالكلمة، والروح القدس. وَالثَّلاَثَةُ هُمْ فِي الْوَاحِدِ). هذا النص يرى فيه البابا شنودة دليلا على تجسد الكلمة، وغيره لم يستخدم النص كحجة فيما يخص التجسد، أي لم يعتبر صالحا لذلك.

وأثبت النص هنا كما جاء في بعض الترجمات وهي:

---

(1) نفسه، ص: 797.

(2) سفر الرؤيا19/11-16.

-الترجمة اليسوعية: (والَّذينَ يَشهَدونَ ثلاثة: الرُّوحُ والماءُ والدَّم وهؤُلاءِ الثَّلاثةُ مُتَّفِقون). وعلقت الترجمة بما يأتي: "هذه الشهادة المزدوجة تضاف إلى شهادة الروح. يقول يوحنا أن هناك ثلاثة شهود يشهدون ليسوع".

- الترجمة العربية المشتركة: (والذينَ يَشهَدونَ هُم ثلاثةٍ. 8الرُوحُ والماءُ والدَّمُ، وهَؤُلاءِ الثَّلاثَةُ هُم في الواحدِ). وعلقت الترجمة بما يأتي: "هذه الإضافة وردت في بعض المخطوطات اللاتينية القديمة".

- كتاب الحياة: (فَإِنَّ هُنَالِكَ ثَلاَثَةَ شُهُودٍ فِي السَّمَاءِ، الآبُ وَالْكَلِمَةُ وَالرُّوحُ الْقُدُسُ، وَهَؤُلاءِ الثَّلاَثَةُ هُمْ وَاحِدٌ. 8وَالَّذِينَ يَشْهَدُونَ فِي الأَرْضِ هُمْ ثَلاَثَةٌ: الرُّوحُ، وَالْمَاءُ، وَالدَّمُ. وَهَؤُلاَءِ الثَّلاَثَةُ هُمْ فِي الْوَاحِدِ).

أقتصر هنا على هذه النماذج الثلاثة، التي يظهر من خلالها مدى تلاعب المسيحيين بكتابهم، فالترجمة اليسوعية لا يوجد فيها ما يقول به شنودة. والترجمة العربية نفسها لم يرد فيها ما يعتقده شنودة، وقد اعتبرت النص الوارد فيها إضافة.

بقي كتاب الحياة يشهد لشنودة ويدعم قوله، لكن لماذا لم يرد النص في كل الترجمات إن كان فعلا ضمن الأصل الموحى به؟ الاجابة يقدمها بنيامين ولسن مترجم المخطوطات اليونانية إذ يقول: "إن هذه الآية التي تشمل على الشهادة بالألوهية غير موجودة في أي مخطوط إغريقي مكتوب قبل القرن الخامس عشر، إنها لم تذكر بواسطة أي كاتب إكليركي (إغريقي) أو أي من الآباء اللاتينيين الأولين حينما يكون الموضوع الذي يتناولونه يتطلب بطبيعته الرجوع إليها، لذلك فهي بصراحة مختلقة"[1]. وهذا ما يبرز إهمال قاموس الكتاب المقدس ووليم أدي لهذا النص ولم يدرجاه ضمن الأدلة على مواضع الكلمة.

وأختم بالنص الذي أورده وليم أدي الموجود في الرسالة إلى العبرانيين: (لأَنَّ كَلِمَةَ اللهِ حَيَّةٌ وَفَعَّالَةٌ). ولكي يتضح المقصود أورد النص ضمن أعداد تابعة له وهو: (لأَنَّ كَلِمَةَ اللهِ حَيَّةٌ وَفَعَّالَةٌ وَأَمْضَى مِنْ كُلِّ سَيْفٍ ذِي حَدَّيْنِ، وَخَارِقَةٌ إِلَى مَفْرَقِ النَّفْسِ وَالرُّوحِ وَالْمَفَاصِلِ وَالْمِخَاخِ، وَمُمَيِّزَةٌ أَفْكَارَ الْقَلْبِ وَنِيَّاتِهِ. 13وَلَيْسَتْ خَلِيقَةٌ غَيْرَ ظَاهِرَةٍ قُدَّامَهُ، بَلْ كُلُّ شَيْءٍ عُرْيَانٌ وَمَكْشُوفٌ لِعَيْنَيْ ذَلِكَ الَّذِي مَعَهُ أَمْرُنَا)[2]. من يقرأ هذا النص وبدون مجهود فكري يتضح له أن وليم أدي ليس على صواب فيما ذهب إليه من ربط نص العبرانيين بالمسيح، ودليل ذلك انطلاقا من النص هو: كلمة الله جاءت مؤنثة فقوله حية، فعالة، متميزة، وليست خليقة، يدل على تأنيث الكلمة، في

(1) "خمسون ألف خطأ في الكتاب المقدس"، أحمد ديدات، ترجمة رمضان الصفناوي البدري، ص: 12.

(2) الرسالة إلى العبرانيين4/12-13.

حين أنه كما سبق مع الأسقف غريغوريوس يستعمل مصطلح الكلمة المتجسد وليس المتجسدة[1].

بقي نص أهمل ولم يحتج به لصالح التجسد من قبل البابا شنودة ووليم أدي وقاموس الكتاب المقدس، وهو ما جاء في رسالة ثيموثاوس: (وَبِالإِجْمَاعِ عَظِيمٌ هُوَ سِرُّ التَّقْوَى: اللهُ ظَهَرَ فِي الْجَسَدِ)[2]. ويعني النص: "تجسد الأقنوم الثاني صائرا في شبه الناس، وهي آية صريحة في إثبات لاهوت المسيح"[3]. والآن أرجع إلى النص لأثبت صيغة وروده في بعض الترجمات:

- الترجمة اليسوعية: (ولا خِلافَ أنَّ سِرَّ التَّقْوى عَظيم: قد أُظهِرَ في الجَسَد).
- الترجمة العربية المشتركة: (ولا خِلافَ أنَّ سِرَ التَّقوى عَظيمٌ: الذي ظهَرَ في الجَسَدِ).
- العهد الجديد ترجمة بين سطور يوناني – عربي: (ولا خِلافَ أنَّ سِرَ التَّقوى عَظيمٌ: الذي أظهر في الجَسَدِ).
- ترجمة عربية سنة 1671: (يقينا سر تقوى عظيم ذلك الذي ظهر في الجسد).
- ترجمة الفاندايك: (وَبِالإِجْمَاعِ عَظِيمٌ هُوَ سِرُّ التَّقْوَى: اللهُ ظَهَرَ فِي الْجَسَدِ).

من خلال هذه الترجمات يظهر أنه في النص تحريف، فهل يأخذ الباحث بـ: "الله ظهر في الجسد"، أم "الذي ظهر في الجسد"؟ فلا شك في أن النص تعرض للتغيير، وما يؤيد هذا هو قول الشماس إميل إسحاق: "وبعض فروق القراءات قد ينتج عن أخطاء الذهن، كأن يفشل الناسخ في تفسير بعض الاختصارات التي كانت تستخدم كثيراً في المخطوطات، خصوصاً مصطلحات مثل "الله" و"المسيح" التي كانت تكتب بصورة مختصرة بصفة منتظمة، والفروق فى تيموثاوس الأولى 16/3بين "مَنْ والذي والله" هي مثال على ذلك، فقد وردت الآية "عظيم هو سر التقوى الله ظهر في الجسد" في قراءة أخرى "عظيم هو سر التقوى الذى (أو مَنْ) ظهر في الجسد"[4].

فالتغيير في النص حاصل لا خلاف في ذلك سواء كما شهدت الترجمات وبما شهد به أيضا الشماس إيميل.

---

(1) لمزيد من التفاصيل حول الحديث عن الكلمة بصيغة التذكير، ينظر كتاب: "إيماننا المسيحي صادق وأكيد"، حلمي: ص: 88 وما بعدها.

(2) رسالة بولس إلى ثيموثاوس الأولى16/3.

(3) "الموسوعة الكنسية لتفسير العهد الجديد، تفسير رسائل بولس الرسول من كورنثوس الأولى حتى فليمون"، إعداد وتفسير مجموعة من كهنة وخدام الكنيسة، نشر كنيسة مارمرقص القبطية مصر، ط2، 2007،ج4، ص: 466.

(4) "مخطوطات الكتاب المقدس بلغاته الأصلية"، إميل ماهر إسحق، ص: 20.

وقد كشف الدكتور بارت إيهرمان[1] سبب التغير من "الذي" إلى "الله" بقوله: "أحد النساخ المتأخرين أدخل تغييرا إلى القراءة الأصلية، حتى لا تعود تُقرأ "الذي" وإنما "الله" (ظهر في الجسد). أو فلنقلها بكلمات أخرى، هذا المصحّح المتأخر غيّر النص بتلك الطريقة لكي يؤكّد على ألوهية المسيح"[2].

بهذه الأدلة يكون الاحتجاج برسالة ثيموثاوس الأولى -على التجسد- القائل: (وَبِالإِجْمَاعِ عَظِيمٌ هُوَ سِرُّ التَّقْوَى: اللهُ ظَهَرَ فِي الْجَسَدِ). هو نص تم تحريفه لتأكيد تجسد المسيح، إلا أن ترجمات الكتاب المقدس وكذلك الدراسات النقدية له كشفت وفضحت تلاعب المسيحيين بنصوصهم. وإذا بطل النص بطل الاستدلال به.

وأختم موضوع التجسد بقول فرنسيس يونغ Frances Young - وهي محاضرة في دراسة الأناجيل في جامعة بيرمنغهام- بريطانيا- تقول: "المعادلة البسيطة: يسوع = الله، ليست فاشلة في تمثيل ما تدعيه التقاليد المسيحية، بل شاذة بشكل واضح. فاختصار : كلية الله إلى تجسد بشري أمر لا يمكن تصوره حقا"[3].

---

(1) تجدر الإشارة إلى أن أقوال بارت ايهرمان اعتمدتُ على ما ترجمة حراس موقع العقيدة، وقد رجعت إلى الكتاب في أصله الإنجليزي.

(2) Misquoting Jesus, the story behind Who Changed the Bible and Why ? BART D. EHRMAN, HarperSanFrancisco A Division of Hanper Collins Publishers, p:157

(3) "أسطورة تجسد الإله في المسيح"، أشرف على التحرير جون هِك، تعريب نبيل صبحي، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، ص: 72.

المبحث الثالث

الرد على قولهم امتلاك المسيح أفعال وصفات اللّه

1 - المعجزات

لن أتناول كل معجزات المسيح بالدراسة، وإنما سأكتفي ببعض المعجزات محللا ومناقشا إياها كي تتضح صورتها.

أ - شفاء المفلوج:

قال متى (وَإِذَا مَفْلُوجٌ يُقَدِّمُونَهُ إِلَيْهِ مَطْرُوحاً عَلَى فِرَاشٍ. فَلَمَّا رَأَى يَسُوعُ إِيمَانَهُمْ قَالَ لِلْمَفْلُوجِ: «ثِقْ يَا بُنَيَّ. مَغْفُورَةٌ لَكَ خَطَايَاكَ».3وَإِذَا قَوْمٌ مِنَ الْكَتَبَةِ قَدْ قَالُوا فِي أَنْفُسِهِمْ: «هَذَا يُجَدِّفُ!»4فَعَلِمَ يَسُوعُ أَفْكَارَهُمْ، فَقَالَ: «لِمَاذَا تُفَكِّرُونَ بِالشَّرِّ فِي قُلُوبِكُمْ؟5أَيُّمَا أَيْسَرُ، أَنْ يُقَالَ: مَغْفُورَةٌ لَكَ خَطَايَاكَ، أَمْ أَنْ يُقَالَ: قُمْ وَامْشِ؟6وَلَكِنْ لِكَيْ تَعْلَمُوا أَنَّ لابْنِ الإِنْسَانِ سُلْطَاناً عَلَى الأَرْضِ أَنْ يَغْفِرَ الْخَطَايَا». حِينَئِذٍ قَالَ لِلْمَفْلُوجِ: «قُمِ احْمِلْ فِرَاشَكَ وَاذْهَبْ إِلَى بَيْتِكَ!»7فَقَامَ وَمَضَى إِلَى بَيْتِهِ.8فَلَمَّا رَأَى الْجُمُوعُ تَعَجَّبُوا وَمَجَّدُوا اللَّهَ الَّذِي أَعْطَى النَّاسَ سُلْطَاناً مِثْلَ هَذَا)[1].

يركز بعض المسيحيين على قول المسيح: (ثِقْ يَا بُنَيَّ. مَغْفُورَةٌ لَكَ خَطَايَاكَ)، فذلك يعني عندهم أن المسيح هو الله لأنه يغفر الخطايا، يقول البابا شنودة: (لقد غفر للمفلوج وقال له في وضوح مغفورة لك خطاياك)[2]. والبابا شنودة هنا أخذ هذا العدد ليبرهن على أن المسيح هو الله غافر الخطايا، وهذا غير صحيح لأن النص يتعلق بشفاء كسيح، وحتى إذا أخذنا بقوله، فالنص يقول مغفورة لك خطاياك وليس أنا غفرت لك.

وهذه القصة أدرجها جوش مكدويل[3] في إطار المعجزات تحت عنوان: معجزات الشفاء الجسدي. ولم ترد القصة في متى فقط، بل وردت في كل من مرقس (12-3/2) ولوقا أيضا وأثبت هنا جزءا من نص لوقا غير وارد في رواية متى وهو: وَإِذَا بِرِجَالٍ يَحْمِلُونَ عَلَى فِرَاشٍ إِنْسَاناً مَفْلُوجاً، وَكَانُوا يَطْلُبُونَ أَنْ يَدْخُلُوا بِهِ وَيَضَعُوهُ أَمَامَهُ. 19وَلَمَّا لَمْ يَجِدُوا مِنْ أَيْنَ يَدْخُلُونَ بِهِ لِسَبَبِ الْجَمْعِ، صَعِدُوا عَلَى

---

(1) متى9/2-8.

(2) "لاهوت المسيح"، شنودة، ص: 73.

(3) "برهان يتطلب قرارا"، مكدويل، ص: 150.

السَّطْحِ وَدَلَّوْهُ مَعَ الْفِرَاشِ مِنْ بَيْنِ الأُجُرِّ إِلَى الْوَسْطِ قُدَّامَ يَسُوعَ)[1]. هنا رواية لوقا تقول إن المفلوج دلّوْه من السطح.

إذا أي الروايتين نصدق؟ فالحدث واحد والروايتان مختلفتان، ولماذا تلك المعاناة كلها في إحضار الكسيح عن طريق إنزاله من السطح؟ فلو كان المسيح فعلا هو الله ويعلم الغيب لكان شفاه على الأقل وهو خارج البيت دون تلك المتاعب المتمثلة في إنزاله من السطح.

لكن لماذا تم إنزاله من السطح؟ الاجابة ستكون انطلاقا من التفاسير، تجيب "الموسوعة الكنسية" قائلة: "من بين المرضى الكثيرين الذين ازدحموا حول المسيح، حضر أربعة رجال يحملون مشلولا على فراشه، وبسبب الزحام حول الباب لم يجدوا طريقا للوصول إلى المسيح إلا الصعود فوق السطح"[2].

قبل التعليق على هذا النص، أورد تفسيرا ليعقوب ملطي يقول فيه: "الآن إذ يجتمع السيد المسيح في بيت وقد أحاط به فريسيون ومعلمو الناموس جاءوا من كل قرية من الجليل واليهودية وأورشليم، كان يعلمهم....وإذ رأى مفلوجا يدليه أربعة رجال من السقف قطع حديثه ليهب غفرانا للمفلوج وشفاء لجسده"[3].

يتضح إذا، بالإضافة إلى اختلاف رواية متى ولوقا، أن تفسير نص لوقا هو أيضا فيه اختلاف، فالموسوعة تذكر أن الذين ازدحموا أمام المسيح هم من المرضى، وهو سبب عدم الوصول بالمفلوج إلى المسيح فكان الخيار هو السطح. وهنا يمكن الرد بما يلي: لو كان المسيح هو الله فعلا كما يعتقد المسيحيون لقام بشفاء المرضى بسرعة فائقة بقوله "كن فيكون"، لا أن يزدحموا حوله وكأنهم في انتظار الطبيب.

وبالنسبة لقول يعقوب ملطي الذي خالف التفسير السابق، وخص ذلك بأناس كانوا يتعلمون من المسيح، يمكن الرد على تفسيره بما يلي: إن شفاء المرضى أولى من تعليم الناس، وعليه ما دام المسيح هو الله، فكان عليه بمجرد وصول المفلوج إلى الباب إما أن يخرج لشفائه، أو يطلب من الحاضرين إفساح الطريق حتى يتمكن الرجال من الوصول بالمفلوج إلى المسيح.

وتجدر الإشارة إلى أن الدخول من السطح من الأمور غير المعقولة، إذ كيف يكون البيت بهذه الصورة من الازدحام حول المسيح ومع ذلك يأتي الرجال الأربعة ويقومون بإزالة جزء من السقف! لا شك في أنه سيسقط عليهم التراب أو الخشب أو أي شيء من السقف. ثم لماذا لم يطلب الحاضرون من الرجال الأربعة التوقف عن

---

(1) لوقا5/18-19.

(2) "الموسوعة الكنسية لتفسير العهد الجديد، ج2، بشارتي لوقا ويوحنا، ص: 66.

(3) "الإنجيل بحسب لوقا"، من تفسيرات وتأملات الآباء الأولين"، القمص تادرس يعقوب ملطي، مطبعة الأنبا رويس، ص: 167.

إزالة السقف بمجرد سماعهم ورؤيتهم للسقف وهو يزال، ولماذا يتركوا لهم مكانا من مدخل الباب ليصلوا إلى المسيح بالمفلوج؟. فهذه صراحة قصة غربية نظرا لتناقضاتها رواية وتفسيريا.

ب - معجزة تكثير الطعام:

جاء في متى: (وَلَمَّا صَارَ الْمَسَاءُ تَقَدَّمَ إِلَيْهِ تَلاَمِيذُهُ قَائِلِينَ: «الْمَوْضِعُ خَلاَءٌ وَالْوَقْتُ قَدْ مَضَى. اِصْرِفِ الْجُمُوعَ لِكَيْ يَمْضُوا إِلَى الْقُرَى وَيَبْتَاعُوا لَهُمْ طَعَاماً». 16فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «لاَ حَاجَةَ لَهُمْ أَنْ يَمْضُوا. أَعْطُوهُمْ أَنْتُمْ لِيَأْكُلُوا». 17فَقَالُوا لَهُ: «لَيْسَ عِنْدَنَا هَهُنَا إِلاَّ خَمْسَةُ أَرْغِفَةٍ وَسَمَكَتَانِ». 18فَقَالَ: «ائْتُونِي بِهَا إِلَى هُنَا». 19فَأَمَرَ الْجُمُوعَ أَنْ يَتَّكِئُوا عَلَى الْعُشْبِ. ثُمَّ أَخَذَ الأَرْغِفَةَ الْخَمْسَةَ وَالسَّمَكَتَيْنِ، وَرَفَعَ نَظَرَهُ نَحْوَ السَّمَاءِ وَبَارَكَ وَكَسَّرَ وَأَعْطَى الأَرْغِفَةَ لِلتَّلاَمِيذِ، وَالتَّلاَمِيذُ لِلْجُمُوعِ. 20فَأَكَلَ الْجَمِيعُ وَشَبِعُوا. ثُمَّ رَفَعُوا مَا فَضَلَ مِنَ الْكِسَرِ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ قُفَّةً مَمْلُوءَةً. 21وَالآكِلُونَ كَانُوا نَحْوَ خَمْسَةِ آلاَفِ رَجُلٍ، مَا عَدَا النِّسَاءَ وَالأَوْلاَدَ)[1]. هذه المعجزة وردت في من: مرقس (6/35-44)، لوقا (9/10-17)، ويوحنا (6/1-14).

إن هذه المعجزة التي يستدل بها المسيحيون على ألوهية المسيح، حجة عليهم لا لهم، يقول عزت الطهطاوي: "إن المتتبع للواقعة السابقة- المعجزة- يتبين له أن المسيح أتى بأشياء تنافي الألوهية، وهي:

- قيام المسيح بأن رفع نظره نحو السماء كما هو واضح في متى: (وَرَفَعَ نَظَرَهُ نَحْوَ السَّمَاءِ)، وهذا الفعل يأتيه الإنسان عادة عندما يطلب الإمداد السماوي من الله تعالى.
- تكثير الطعام لم ينفرد به المسيح عليه السلام، بل ذكر العهد القديم أن إيليا قام بتكثير الدقيق والزيت وهذا ما جاء في سفر الملوك[2] فهل يعد إيليا إلها!؟ طبعا لا لم يقل أحد ذلك.

ج - شفاء الرجل الكسيح:

(وَبَعْدَ هَذَا كَانَ عِيدٌ لِلْيَهُودِ، فَصَعِدَ يَسُوعُ إِلَى أُورُشَلِيمَ.2وَفِي أُورُشَلِيمَ عِنْدَ بَابِ الضَّأْنِ بِرْكَةٌ يُقَالُ لَهَا بِالْعِبْرَانِيَّةِ «بَيْتُ حِسْدَا» لَهَا خَمْسَةُ أَرْوِقَةٍ.3 فِي هَذِهِ كَانَ مُضْطَجِعاً جُمْهُورٌ كَثِيرٌ مِنْ مَرْضَى وَعُمْيٍ وَعُرْجٍ وَعُسْمٍ، يَتَوَقَّعُونَ تَحْرِيكَ الْمَاءِ. 4لأَنَّ مَلاَكاً كَانَ يَنْزِلُ أَحْيَاناً فِي الْبِرْكَةِ وَيُحَرِّكُ الْمَاءَ. فَمَنْ نَزَلَ أَوَّلاً بَعْدَ تَحْرِيكِ الْمَاءِ كَانَ يَبْرَأُ مِنْ أَيِّ مَرَضٍ اعْتَرَاهُ.5وَكَانَ هُنَاكَ إِنْسَانٌ بِهِ مَرَضٌ مُنْذُ ثَمَانٍ وَثَلاَثِينَ سَنَةً. 6 هَذَا رَآهُ يَسُوعُ مُضْطَجِعاً، وَعَلِمَ أَنَّ لَهُ زَمَاناً كَثِيراً، فَقَالَ لَهُ: «أَتُرِيدُ أَنْ

---

(1) متى14/15-21.

(2) سفر الملوك الأول 17/8-16، لم أثبت النص هنا لطوله.

تَبْرَأْ؟»7أَجَابَهُ الْمَرِيضُ: « يَا سَيِّدُ، لَيْسَ لِي إِنْسَانٌ يُلْقِينِي فِي الْبِرْكَةِ مَتَى تَحَرَّكَ الْمَاءُ. بَلْ بَيْنَمَا أَنَا آتٍ، يَنْزِلُ قُدَّامِي آخَرُ».8قَالَ لَهُ يَسُوعُ: «قُمِ. احْمِلْ سَرِيرَكَ وَامْشِ».9فَحَالاً بَرِئَ الإِنْسَانُ وَحَمَلَ سَرِيرَهُ وَمَشَى)[1].

يحتج المسيحيون بهذه القصة كدليل على قدرة المسيح الإلهية في الشفاء، لكن في النص أمور لا بد من كشفها. فالقول: (لأَنَّ مَلاَكاً كَانَ يَنْزِلُ أَحْيَاناً فِي الْبِرْكَةِ وَيُحَرِّكُ الْمَاءَ. فَمَنْ نَزَلَ أَوَّلاً بَعْدَ تَحْرِيكِ الْمَاءِ كَانَ يَبْرَأُ مِنْ أَيِّ مَرَضٍ اعْتَرَاهُ). هذه الفقرة زائدة والترجمة العربية المشتركة للكتاب المقدس وضعتها بين معقوفتين وعلقت في الهامش بالقول: "لا ترد في معظم المخطوطات القديمة" وهو نفس تعليق الترجمة اليسوعية على الفقرة هذا من جهة.

ومن جهة ثانية، يقول النص: إن المريض مدة ثمان وثلاثين سنة وهو مريض ولم يجد من يلقيه في البركة كي يشفى من مرضه. وهناك يطرح السؤال: إذا لم يجد ذلك، فمن الذي كان يقدم له الأكل والشرب ويساعده على قضاء حاجته؟ ولماذا قام المسيح بشفاء هذا المريض وترك الآخرين؟ لأن النص يقول: "كَانَ مُضْطَجِعاً جُمْهُورٌ كَثِيرٌ مِنْ مَرْضَى وَعُمْيٍ وَعُرْجٍ وَعُسْمٍ". أليس هذا يدل على غياب للعدل والرحمة في شخص المسيح**!؟**

إن ما فعله المسيح عليه السلام من معجزات لم يقل فيها إني فعلتها باعتباري إلها، وإنما فعلها بالقدرة التي منحه الله إياها، وهناك نصوص تؤكد هذا، جاء في يوحنا: (وَقَالَ لَهُ: يَا مُعَلِّمُ، نَعْلَمُ أَنَّكَ قَدْ أَتَيْتَ مِنَ اللَّهِ مُعَلِّماً، لأَنْ لَيْسَ أَحَدٌ يَقْدِرُ أَنْ يَعْمَلَ هَذِهِ الآيَاتِ الَّتِي أَنْتَ تَعْمَلُ إِنْ لَمْ يَكُنِ اللَّهُ مَعَهُ)[2]. وفي يوحنا أيضا: (أَنَا لاَ أَقْدِرُ أَنْ أَفْعَلَ مِنْ نَفْسِي شَيْئاً. كَمَا أَسْمَعُ أَدِينُ، وَدَيْنُونَتِي عَادِلَةٌ، لأَنِّي لاَ أَطْلُبُ مَشِيئَتِي بَلْ مَشِيئَةَ الآبِ الَّذِي أَرْسَلَنِي)[3]. فالأعمال التي يقوم بها المسيح مصدرها الله بشهادة النصوص. أضف إلى ذلك قول المسيح لمن آمن به أنه يستطيع القيام بأعمال المسيح بل أعظم منها، والنص في هذا هو: (اَلْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: مَنْ يُؤْمِنُ بِي فَالأَعْمَالُ الَّتِي أَنَا أَعْمَلُهَا يَعْمَلُهَا هُوَ أَيْضاً، وَيَعْمَلُ أَعْظَمَ مِنْهَا)[4]. وهنا نقول للمسيحيين إذا كنتم مؤمنين حقا بالمسيح، فبناء على هذا النص، من المفروض أن تقوموا بما كان يقوم به إلهكم المسيح بل وتقوموا بأعظم من ذلك**!** فإذا قمتم بذلك فأنتم آلهة، وإذا لم تفعلوا شيئا فأنتم لستم بمؤمنين.

---

(1) يوحنا5/1-9.

(2) يوحنا3/2.

(3) يوحنا 30/5.

(4) يوحنا 12/14.

المبحث الرابع

إسناد فعل الخلق للمسيح

لقد أسند المسيحيون للمسيح فعل الخلق أي هو الخالق ومن ثمة، فهو الله، ودليلهم بعض النصوص يرون أن فيها سندا قويا لاعتقادهم هذا.

يقول حنا جرجس: "أقنوم الابن "اللوغوس" هو الخالق كما يقول الوحي المقدس: (كُلُّ شَيْءٍ بِهِ كَانَ، وَبِغَيْرِهِ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِمَّا كَانَ)[1].

هذا النص قد اقتطعه القمص من السياق الذي ورد فيه وهو قول يوحنا: (فِي الْبَدْءِ كَانَ الْكَلِمَةُ، وَالْكَلِمَةُ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ، وَكَانَ الْكَلِمَةُ اللَّهَ.2هَذَا كَانَ فِي الْبَدْءِ عِنْدَ اللَّهِ. 3 كُلُّ شَيْءٍ بِهِ كَانَ، وَبِغَيْرِهِ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِمَّا كان)[2]. إذا فالنص واضح. وكما بينت سابقا فأنه بالأمر الإلهي تم الخلق، لكن القمص اقتطع النص من سياقه ليقول إن الخالق هو المسيح؛ إلا أنه لم يفلح في هذا الأمر، فالنص يجب أن يفهم في إطار السياق الذي ورد فيه.

ومن النصوص التي تعتبر كذلك حجة عندهم في إثبات فعل الخلق إلى المسيح أذكر:

ورد في كولوسي: (اَلَّذِي هُوَ صُورَةُ اللهِ 14، بِكْرُ كُلِّ خَلِيقَةٍ)[3]. ويقول أنطونيوس فكري: "بكر كل خليقة = كلمة بكر في اليونانية تشير لمعنى المولود الأول، فالمسيح أو الابن هو مولود من الآب وليس مخلوق، التعبير لا يعنى أول خلق الله. وكلمة "بكر" تعنى رأس أو بداءة أو مُبدئ كل خليقة الله، "فكل شيء به كان، وبغيره لم يكن شيء مما كان" (يو1 :3). والخليقة مخلوقة وليست مولودة. ونفهم قوله "بكر كل خليقة" أنه المتقدم الذي يفوق الخليقة كلها، وهو قبل كل الخليقة وقبل الزمن؟. ونسمع بعد ذلك أنه هو الخالق، فكيف يكون خالقًا ومخلوقًا في الوقت نفسه = الكل به. وإذا كان هو خالق الكل. فهل خلق نفسه؟"[4].

---

(1) يوحنا 3/1.

(2) يوحنا1/1-3.

(3) رسالة بولس إلى أهل كولوسي15/1.

(4) http://st-takla.org/pub_Bible-Interpretations/Holy-Bible-Tafsir-02-New-Testament/Father-Antonious-Fekry/12-Resalet-Kolosy/Tafseer-Resalat-Colosy__01-Chapter-01.html

هذا المفسر بعدما قال إن كلمة "بكر" في اليونانية تعني المولود الأول، حاول التهرب كي يثبت أن المسيح هو الخالق بقوله: التعبير لا يعني أول خلق الله. وكلمة "بكر" تعني رأس أو بداءة أو مبدئ كل خليقة. وإذا كان هو خالق الكل فهل خلق نفسه؟

إن من يتتبع هذا التفسير يكتشف تناقض المفسر مع نفسه، لأنه لو كانت كلمة "بكر" تعني المولود الأول، كما قال، فكيف يكون المولود خالقا!؟ وكيف يمكن لله أن يلد!؟ وقوله أن المسيح خالق الكل، فهذا تفسير تعسفي لا غير لأن النص لم يقل بذلك.

وهناك من المسيحيين من فسر النص بغير ما ذهب إليه أنطونيوس فكري. فوليم أدي ربط ذلك بالمكانة السامية للمسح ولم يفسر ذلك بأن المسيح هو الخالق، يقول: "دعي كذلك بيانا لكونه الأول في محبة الآب واعتباره كما في قوله: (وَأَيْضاً مَتَى أَدْخَلَ الْبِكْرَ إِلَى الْعَالَمِ)[1]. ولكونه فوق كل الخلائق في العظمة ووقت الوجود"[2]. وهو نفس تفسير "الموسوعة الكنسية" إلا فيما يخص وقت الوجود، تقول الموسوعة: "فكلمة "بكر" لا تعني الأسبقية في الوجود، ولكنها تفيد الأسبقية في العظمة والمجد"[3].

إذا، لو كان المسيح فعلا هو الخالق، فلا أظن أن وليم أدي يغفل هذا الأمر، لذلك اعتبر النص ما هو إلا حديث عن مكانة للمسيح فاق بها الخليقة وليس أنه هو الخالق.

وبهذا فإن المسيح ليس بكر الخليقة بمعنى الخالق وإنما باعتبار المخلوق الأول، والكلمة اليونانية المستعملة تؤكد هذا الأمر. وهي Prototokos . πρωτότοκος كما جاء في العهد الجديد يوناني عربي.

وقد ورد في الفهرس العربي لكلمات العهد الجديد اليونانية[4] وتحت كلمة بكر πρωτότοκος prototokos، ذكر لمجموعة من النصوص وهي في الحقيقة تعني الأول وليس الخالق، وهي كالآتي:

- متى: (وَلَمْ يَعْرِفْهَا حَتَّى وَلَدَتِ ابْنَهَا الْبِكْرَ)[5].

---

(1) الرسالة إلى العبرانيين6/1.

(2) "الكنز الجليل في تفسير الإنجيل، شرح الرسالة إلى أهل كولوسي"، وليم أدي، صدر عن مجمع الكنائس في الشرق الأدنى ببيروت 1973، ص: 9.

(3) "الموسوعة الكنسية لتفسير العهد الجديد، تفسير رسائل بولس الرسول من كونثوس الأولى حتى فيلمون"، ص: 369 .

(4) "الفهرس العربي لكلمات العهد الجديد اليونانية"، صنفه القس غسان خلف، دار النشر المعمدانية بيروت لبنان، ص: 683.

(5) متى 25/1.

- لوقا: (فَوَلَدَتِ ابْنَهَا الْبِكْرَ)[1].
- رومية: (لِيَكُونَ هُوَ بِكْراً بَيْنَ إِخْوَةٍ كَثِيرِينَ)[2].
- كولوسي: (بِكْرُ كُلِّ خَلِيقَةٍ)[3].
عبرانيين: (وَأَيْضاً مَتَى أَدْخَلَ الْبِكْرَ إِلَى الْعَالَمِ)[4].

وبهذه الأمثلة بشهادة غسان خلف يكون معنى "البكر" في النص السالف الذكر بمعنى هو الأول، وعليه يكون معنى النص: أول خليقة الله. هذا مع العلم أن المسيح عليه السلام ليس أول مخلوقات الله وإنما سبقه غيره، ومن ثمة يكون ذلك على معنى أنه كان الأول في علم الله قبل الخليقة.

بقي نص واحد استدل به المسيحيون لصالح قولهم بالمسيح الإله الخالق، وهو: (بَدَاءَةُ خَلِيقَةِ اللهِ)[5]. وقد علق على النص الأسقف غريغوريوس: "وكلمة ARKHE، تفيد: بدْء أو رأس أو رئيس أو مبدئ، بضم الميم وجر الدال... وباللغة العبرية "ريشيت" أي رأس الخليقة، وعلى ذلك فإن المسيح له المجد هو مُبدِئ الخليقة أي بارئها وموجدها من العدم وهو أصل الخليقة أي مصدر الخليقة"[6]. إن الأسقف غريغوريوس يرى بأن النص دليل على أن المسيح هو مصدر الخليقة وأصلها. واحتج بالكلمة العبرية רֵאשִׁית أي رأس الخليقة، لكن بالرجوع إلى المعجم العبري نجد ذلك، معنى فقط من بين معاني أخرى والأسقف مع الآسف لم يكن أمينا في نقله، ومن معاني كلمة רֵאשִׁית:

-"רֵאשִׁית: بداية، بدْء، أول (الشيء)، (مجازا) خير، خيرة، أفضل ما (في الشيء)، باكورة. قبل كل شيء، أولا، السبب الأول لذلك"[7].

من خلال هذه المعاني ليس هناك ما يدل على أن المسيح هو الخالق أو أصل الخلق أو مصدر الخلق.

لذلك ذهب وليم أدي إلى حمل النص على معنيين مع تغليبه المعنى الثاني – وهو مردود عليه- فيقول: "بداءة خليقة الله تحتمل معنيين الأول: أنه أول الخليقة وأجملها بالمعنى الذي أراده يعقوب بقوله لرأوبين: (رَأُوبَيْنُ أَنْتَ بِكْرِي قُوَّتِي وَأَوَّلُ

---

(1) لوقا 7/2.
(2) رومية29/8.
(3) كولوسي 15/1.
(4) الرسالة إلى العبرانيين6/1.
(5) سفر الرؤيا14/3.
(6) "لاهوت السيد المسيح"، غريغوريوس، ص: 721-722.
(7) "יחזקאל קוגמן، מילון עברי – ערבי"، ص: 853.

قُدْرَتِي فَضْلُ الرِّفْعَةِ وَفَضْلُ الْعِزِّ)[1]. والثاني هو أن المسيح أصل الخليقة ومبدعها وكل أسامي المسيح في هذا السفر تدل على لاهوته فلذلك وجب أن نفسره بالمعنى الثاني"[2]. فحمل وليم أدي التفسير على المعنى الثاني مردود عليه لأن سفر الرؤيا سفر مجهول كاتبه وهذا ما قالته "الترجمة اليسوعية": "سفر الرؤيا غير معروف، والدليل هو مقدمة "الترجمة اليسوعية" لهذا السفر إذ تقول: "لا يأتينا سفر رؤيا يوحنا بشيء من الإيضاح عن كاتبه ولم يذكر قط أنه أحد الاثني عشر، هناك تقليد على شيء من الثبوت وقد عثر على بعض أثاره منذ القرن الثاني، وورد فيه أن كاتب الرؤيا هو الرسول يوحنا، بيد أنه ليس في التقليد القديم إجماع على هذا الموضوع، وقد بقي المصدر الرسولي لسفر الرؤيا عرضة للشك"[3]. هذا من جهة، ومن جهة ثانية وجب الوقوف عند النص موضوع الدراسة، فما دام قد قال بالمعنى الأول فيعني أول الخليقة هذا جاء بناء على النص. أما القول بأصل الخليقة فالنص لم يقل بذلك بتاتا، فدل هذا أنه مجرد هروب من المعنى الواضح قصد إثبات أن المسيح هو الخالق.

ومما يؤكد أن المسيح ليس هو الخالق أو أصل الخليقة هو الأصل اليوناني لكلمة ARKHE فكل من الفهرس العربي لكلمات العهد الجديد اليونانية[4]، وكتاب: دليل عربي يوناني إلى ألفاظ العهد الجديد[5]، لم يذكر من مواضع كلمة "بدء" أنها تعني أصل أو مبدئ، وإنما جاءت النصوص على معنى الأول أي البداية. وأقتصر على ذكر بعض الأمثلة وهي:

- متى: (وَلَكِنَّ هَذِهِ كُلَّهَا مُبْتَدَأُ الأَوْجَاعِ)[6].
- مرقس: (هَذِهِ مُبْتَدَأُ الأَوْجَاعِ)[7].
- يوحنا: (هَذِهِ بِدَايَةُ الآيَاتِ)[8].

---

(1) سفر التكوين3/49.

(2) "الكنز الجليل في تفسير الإنجيل، شرح سفر الرؤيا" وليم أدي، صدر عن مجمع الكنائس في الشرق الأدنى بيروت 1973، ص: 27.

(3) الترجمة اليسوعية، مدخل إلى سفر رؤيا يوحنا، ص: 796

(4) "الفهرس العربي لكلمات العهد الجديد اليونانية"، غسان، ص: 113

(5) "دليل عربي يوناني إلى ألفاظ العهد الجديد"، صنفه الأب صبحي حموي اليسوعي، دار المشرق بيروت، ص: 58

(6) متى8/24

(7) مرقس8/13

(8) يوحنا11/2

ومن أراد التوسع أكثر في معرفة باقي الأمثلة يرجع إلى الكتابان السالف الذكر، وليس في تلك النصوص ما يدل على أن كلمة "بدء" تعني أصل أو مبدئ أو خالق. وعليه فربط النصوص السالفة التي اعتقد المسيحيون بأنها تثبت أن المسيح هو الله الخالق، هو في الحقيقة تحريف لمعنى النص وتفسير تعسفي له، لأنه لو كان الأمر كما يعتقدون، لكان النص يقول: خالق خليقة الله، لكن هذا غير حاصل بتاتا، بل لا يستقيم أصلا.

وقد رفض القس الليبي أريوس القول بأن المسيح هو الخالق واعتبره مخلوقا، فكان يقول: "إن الله واحد فرد غير مولود ولا يشاركه أحد في ذاته تعالى، فكل ما كان خارجا عن الله الأحد إنما هو مخلوق من لا شيء بإرادة الله ومشيئته"[1]. لكن هناك من يريد تحريف الحقائق ليؤكد صحة اعتقاده معتبرا أن أريوس يؤمن بأن المسيح هو الخالق، وهذا ما ذهب إليه جوش مكدويل بقوله: "آمن أريوس وأتباعه بوجود المسيح السابق لولادته، وبأنه هو خالق العالم"[2].

إلا أن متتبع أقوال المسيحيين حول أريوس يجد عكس ما قاله مكدويل، وأذكر بعض الأقوال التي تؤكد اعتقاد أريوس بأن المسيح ليس إلها وأنه مخلوق. يقول البابا شنودة تحت عنوان هرطقة أريوس: "كان أريوس ينكر لاهوت المسيح، ويرى أنه أقل من الآب في الجوهر، وأنه مخلوق"[3]. وهو نفس قول القمص الأنطوني الذي قال: "وتنحصر تعاليمه في إنكار لاهوت السيد المسيح وادعائه أنه مخلوق"[4].

وبهذا يكون قد اتضح أن أريوس قد أنكر لاهوت المسيح واعتبر المسيح مخلوقا وليس خالقا، وهذا هو سبب انعقاد مجمع نيقية سنة 325م. يقول منسى يوحنا: "مجمع نيقية ويسمى المجمع المسكوني الأول، وكان الداعي لانعقاده انتشار بدعة أريوس الهرطوقي واضطراب الكنيسة وانزعاج المؤمنين بسببها فكتب القديس الاكسندروس بابا الإسكندرية إلى الملك قسطنطين الكبير طالبا منه عقد مجمع مسكوني...وذهب أوسيوس أسقف قرطبة إلى الملك وطلب منه نفس الطلب فارتضى

---

(1) "فلسفة الفكر الديني بين المسيحية والاسلام"، لويس غرديه، ج. قنواتي، نقله إلى العربية: الشيخ صبحي الصالح، الأب فريد جبر، دار العلم للملايين، ج2، ص: 278

(2) - "حقيقة لاهوت المسيح"، مكدويل، ص: 77

(3) - "طبيعة المسيح"، شنودة، ص: 9

(4) "عصر المجامع، دراسة علمية وثائقية للمجامع المسكونية الكبرى الأربعة الهامة"، القمص كيرلس الأنطوني، تنسيق وتعليق دياكون د. ميخائيل مكسي اسكندر، نشر مكتبة المحبة، ط1، ص: 44

قسطنطين وكتب منشورا يستدعي فيه أساقفة المملكة للاجتماع في مدينة نيقية"[1].
وفي هذا المجمع تم اقرار قانون الإيمان وهو كالآتي:
"نؤمن بإله واحد الله الآب ضابط الكل خالق السماء والأرض، ما يُرى وما لا يُرى. نؤمن برب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد. المولود من الآب قبل كل الدهور نور من نور إله حق من إله حق مولود غير مخلوق مساو للآب في الجوهر الذي به كل شيء هذا الذي من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا نزل من السماء وتجسد من الروح القدس ومن مريم العذراء تأنس وصلب في عهد بيلاطس[2] البنطي تألم وقبر وقام من بين الأموات في اليوم الثالث كما في الكتب وصعد إلى السماء وجلس على يمين أبيه وأيضا يأتي في مجده ليدين الأحياء والأموات الذي ليس لملكه انقضاء"[3].

قانون الإيمان هذا يحتاج إلى تحليل لأن فيه مجموعة من الأمور تحتاج إلى بيان، وهو كالآتي:

- "نؤمن بإله واحد الله الآب": يتضح من هذا أن هناك إلها واحدا هو الله الآب، وعليه فقولهم الله = الآب+ الابن + الروح القدس، وهؤلاء الثلاثة واحد مردود "بقانون الإيمان"، الذي اعتبر هناك إلها واحدا هو الآب، أي ليس هناك إله آخر. والمسيح عليه السلام كما في يوحنا قال: (وَهَذِهِ هِيَ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ: أَنْ يَعْرِفُوكَ أَنْتَ الإِلَهَ الْحَقِيقِيَّ وَحْدَكَ وَيَسُوعَ الْمَسِيحَ الَّذِي أَرْسَلْتَهُ)[4]. هذا النص يوجد في ترجمة قديمة تعود إلى سنة 1591 بصيغة رائعة وأكثر تعبيرا.

فالمسيح قال "أنت الله الحق وحدك" ولم يقل "أنت الآب" وهذا تعبير دقيق لأنه لو قال الآب فإن ذلك يعتبر حجة لدى المسيحيين باعتبار أن الآب هو أقنوم من الأقانيم المكونة لله. لكن النص لم يترك هذه الإمكانية لهم.

---

(1) - "تاريخ الكنيسة القبطية"، الشماس منسى يوحنا، نشر مطبعة اليقظة مصر، ط1، 1924، ص: 250

(2) بيلاطُسَ: (يو19: 1) ويلقب بالبنطي، باللاتينية بنطيوس (مت27: 2 (هو وال أقامته الحكومة الرومانية نائبا أو حاكما على اليهودية في سنة 29 مسيحية. واستمر حكمه بضع سنين إلى ما بعد صعود مخلصنا، وكانت قيصرية مركز ولايته. وكان يصعد إلى أورشليم إلى دار الولاية فيقضي للشعب هناك (يو18: 28). ينظر: قاموس الكتاب المقدس، تأليف نخبة من اللاهوتيين، ص: 207-208

(3) "تاريخ الكنيسة القبطية"، الشماس منسى يوحنا، ص: 257، ولمزيد من التفاصيل ينظر أيضا كتاب: "عصر المجامع"، كيرلس.

- يوحنا3/17(4)

- "ضابط الكل خالق السموات والأرض": يعني الله الحق كما سماه المسيح هو الذي ضبط الكل وخالق السموات والأرض، وهذا في الحقيقة رد قوي على قولهم: إن المسيح هو الخالق كما أسلفت داحضا ذلك.
- "نؤمن برب واحد يسوع": الرب حينما تطلق على المسيح تأتي بمعنى سيد أو معلم، كما يطلق لفظ الرب على الله، جاء في أعمال الرسل: (الإِلَهُ الَّذِي خَلَقَ الْعَالَمَ وَكُلَّ مَا فِيهِ هَذَا إِذْ هُوَ رَبُّ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ)[1]، فالله سمي هنا رب السماء والأرض ولا يمكن ربط هذا بالمسيح فالله هو رب وخالق السماء والأرض كما شهد "قانون الإيمان". والمسيح عليه السلام نادى الله باسم الرب فقال في متى: (فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ أَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ: «أَحْمَدُكَ أَيُّهَا الآبُ رَبُّ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ)[2]. أما إطلاق لقب الرب على المسيح فكان بمعنى معلم أو سيد، وأوضح نص هو: (فَالْتَفَتَ يَسُوعُ وَنَظَرَهُمَا يَتْبَعَانِ، فَقَالَ لَهُمَا: «مَاذَا تَطْلُبَانِ؟» فَقَالاَ: « رَبِّي، الَّذِي تَفْسِيرُهُ: يَا مُعَلِّمُ)[3]. وسيأتي المزيد في معرض الحديث عن نسبة ألقاب الله إلى المسيح.
- "المسيح ابن الله الوحيد المولود من الآب قبل كل الدهور نور من نور": يستدلون على كون المسيح ابن الله الوحيد بما جاء في يوحنا: (اَللَّهُ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ قَطُّ. اَلاِبْنُ الْوَحِيدُ الَّذِي هُوَ فِي حِضْنِ الآبِ هُوَ خَبَّرَ)[4]. وهذا النص قد تعرض للتحريف فقد جاء في الترجمة العربية المشتركة هكذا: (ما مِنْ أحدٍ رأى الله. الإلهُ الأوحَدُ الذي في حِضن الآبِ هوَ الذي أخبَرَ عَنهُ). هذا التغيير في النص يتصادم مع الكتاب المقدس فالمسيح كما مر قال: (وَهَذِهِ هِيَ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ: أَنْ يَعْرِفُوكَ أَنْتَ الإِلَهَ الْحَقِيقِيَّ وَحْدَكَ وَيَسُوعَ الْمَسِيحَ الَّذِي أَرْسَلْتَهُ).

لكن ما هو سبب هذا التغيير؟ يجيب بارت إيهرمان: "مصطلح "الإله الوحيد" لابد وأنه يشير إلى الله الآب نفسه ـ وإلا فهو ليس فريدا من نوعه. إلا أنه لو كان التعبير يشير إلى الآب، فكيف يتم استخدامه للدلالة على الابن؟ لو سلمنا بأن عبارة إنجيل يوحنا "الابن الوحيد" هي الأكثر شيوعا (وقابلية للفهم)، فمن الواضح أن تلك العبارة هي التي كان عليها النص المكتوب في يوحنا1 :18 في شكله الأصلي. هذا النص بحد ذاته ما يزال يمثل رؤية أكثر تمجيدا للمسيح ـ فهو "الابن الوحيد الذي في حضن الآب". وهو الشخص الذي يجعل الله ظاهرا لكل إنسان آخر. يبدو، مع ذلك، أن بعض النسّاخ لم يكونوا سعيدين حتى بتلك الرؤية الممجدة للمسيح، ولذلك جعلوا

---

(1) - أعمال الرسل 24/17

(2) - متى25/11

(3) - يوحنا38/1

(4) - يوحنا18/1

منها أكثر تمجيدا من ذي قبل، من خلال تحريف النص. الآن المسيح ليس ابن الله الوحيد فحسب، بل هو الإله الوحيد نفسه"[1].

هكذا يتضح أن النساخ لم يجدوا في نص يوحنا التعبير الأدق لاعتقادهم بألوهية المسيح، فقاموا بتحريف النص من الابن الوحيد إلى الإله الأوحد. وهذا منهج غير علمي، فكيف يتم تغيير النص ليتماشى مع الاعتقاد، فالأصح أن يبنى الاعتقاد على النص الأصل دون تغيير.

- "إله حق من إله حق": وهذا لا يستقيم مطلقا، فكيف يكون إله ولد إلها؟ وكيف يكون هناك إلهان؟ والمسيح نفسه نادى الله باسم: أنت الإله الحقيقي وحدك.

- "مولود غير مخلوق": هذا التعبير مردود، لأن المسيح مخلوق يقول الأسقف غريغوريوس: "نعم إن جسد المسيح مخلوق، وهو حادث في الزمن، وذلك لأنه لم يكن سابقا موجودا ثم وجد في زمن التجسد فجسد المسيح ليس أزليا، أما الأزلي الأبدي فهو لاهوته... فالجسد إذن مخلوق، لأنه لم يكن موجودا من قبل ثم أوجده الله في الزمان المحدود"[2].

وعلى هذا القول تكون مريم ولدت بشرا وليس إلها متأنسا، وكأن الأسقف غريغوريوس يرد على نفسه بل يناقض نفسه لأنه هو القائل سابقا أن مريم ولدت إلها وهذا هو قوله للأمانة العلمية: فمتى ولدت العذراء فمولودها هو الإله.

وللتهرب من السقوط في التناقض بين القول أن المسيح مخلوق وبين "قانون الإيمان" القائل "مولود غير مخلوق" يقولون: "لعل يا صديقي مازال أحد يتساءل: أليس القول بأن جسد المسيح مخلوق يتعارض مع ما جاء في قانون الإيمان الذي يقول " مولود غير مخلوق"؟: فنجيبه بهدوء شديد قائلين إن قانون الإيمان يحدثنا عن طبيعتي المسيح، إذ تكلم أولًا عن لاهوت المسيح قائلًا "نؤمن برب واحد يسوع المسيح، ابن الله الوحيد، المولود من الآب قبل كل الدهور، نور من نور، إله حق من إله حق، مولود غير مخلوق، مساوٍ للآب في الجوهر، الذي به كان كل شيء" فهذا ينطبق على اللاهوت الأزلي المولود من الآب والمساو له ولا ينطبق على الناسوت"[3].

---

(1) Misquoting Jesus, the story behind Who Changed the Bible and Why ? BART D. EHRMAN, Harper San Francisco A Division of Hanper Collins Publishers, p:162

(2) "اللاهوت العقيدي سرى التجسد والفداء"، غريغوريوس، ص: 166

(3) "كتاب حتمية التجسد الإلهي"، كنيسة القديسين مار مرقس والبابا بطرس - سيدي بشر – الإسكندرية: جسد المسيح حسب أقوال الآباء كتاب الكتروني من موقع:

إن هذا القول زاد في تناقض "قانون الإيمان" فيما يخص هذه الجزئية، فالكاتب لم يقدم الدليل على أن ذلك – مولود غير مخلوق- خاص باللاهوت. فكيف أن اللاهوت مولود غير مخلوق؟ فهل هناك أكثر من لاهوت؟ و هل يستقيم القول بأن اللاهوت ولد اللاهوت!؟ طبعا لا؛ لأنهم يقولون إن اللاهوت اتحد بالناسوت وهذا يعطي طبيعة واحدة للمسيح أي الإله المتأنس. وعليه يكون القول "إله حق من إله حق" هو تناقض. والحل الوحيد هو أن المسيح مخلوق، وبهذا فقولهم مولود غير مخلوق لا معنى له.

- "مساوي للآب في الجوهر": دليلهم في هذا قول المسيح: (أَنَا وَالآبُ وَاحِدٌ)[1]. يبدو هذا النص لإنسان بسيط أنه حجة قوية، إلا أنه بعد قراءة النص يتضح الأمر، يقول عزت الطهطاوي: "أصل القول المنقول عن المسيح بإنجيل يوحنا10عدد30 ينقصه جزء آخر مكمل له لا يتم المعنى إلا به، ألا وهو ما ورد بنفس الإصحاح10 من إنجيل يوحنا عدد27 وهو هكذا: (خِرَافِي تَسْمَعُ صَوْتِي، وَأَنَا أَعْرِفُهَا فَتَتْبَعُنِي. 28وَأَنَا أُعْطِيهَا حَيَاةً أَبَدِيَّةً، وَلَنْ تَهْلِكَ إِلَى الأَبَدِ، وَلاَ يَخْطَفُهَا أَحَدٌ مِنْ يَدِي. 29أَبِي الَّذِي أَعْطَانِي إِيَّاهَا هُوَ أَعْظَمُ مِنَ الْكُلِّ، وَلاَ يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَخْطَفَ مِنْ يَدِ أَبِي. 30أَنَا وَالآبُ وَاحِدٌ).

يعلق عزت الطهطاوي قائلا: "فقوله: "أنا والآب واحد"، يقصد به في إرادة الخير والهداية لهؤلاء الخراف، وفي عدم مقدرة المضلين أن يخطفوا الخراف المذكورة، لا من يد الله ولا من يد المسيح، حيث إن المسيح أيضا قوي بربه عز وجل. وهذا هو المعنى الذي يرمي إليه المسيح من كلامه المذكور لأنه نفى:

أولا: خطف الخراف من يده.

ثانيا: ثم نفاه من يد الله.

ثالثا: ثم سوَّى بينه وبين الله، علما أن هذه التسوية هي موضوع عدم خطف الخراف"[2]. وبالتالي فالنص ليس له علاقة بالمساواة في الجوهر لذلك عمد المسيحيون إلى بتر جزء من النص للتأكيد على اعتقادهم إلا أن سياق النص لم يترك لهم ذلك.

- "الذي من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا نزل من السماء وتجسد من الروح القدس ومن مريم العذراء": ودليلهم على نزول المسيح من السماء هو قول

---

http://st-takla.org/Full-Free-Coptic-Books/FreeCopticBooks-021-Sts-Church-Sidi-Beshr/002-Hatmeyat-Al-Tagasod-Al-Ilahy/Inevitability-of-the-Incarnation__33-Jesus-Body-Patrology.html

(1) إنجيل يوحنا30/10

(2) "النصرانية في الميزان"، محمد عزت الطهطاوي، نشر دار القلم، ص: 161-162.

يوحنا: (وَلَيْسَ أَحَدٌ صَعِدَ إِلَى السَّمَاءِ إِلاَّ الَّذِي نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ، ابْنُ الإِنْسَانِ الَّذِي هُوَ فِي السَّمَاءِ)[1]. يعلق يعقوب ملطي على النص بقوله: "من هو ابن الإنسان الذي نزل من السماء؟ بالتأكيد اللاهوت، الذي ينسب لنفسه إنه ابن الانسان كعلامة وحدة طبيعته"[2]، الكاتب حصر النص هنا فقط على اللاهوت مع العلم أن النص لا يخول له ذلك بل قال ابن الإنسان. وذهبت "الموسوعة الكنسية" إلى تفسير النص على أساس التجسد قائلة: "هو أنه الإله المتجسد، النازل من السماء والصاعد إلى السماء في نفس الوقت"[3].

إلا أن كلا التفسيرين غير صحيح، لأن اللاهوت في اعتقادهم موجود في كل مكان يقول شنودة: "أما اللاهوت، فإنه لا يرتفع إلى السماء ولا يصعد، إنه موجود في السماء، وفي الأرض، وما بينهما، ولا ينتقل من مكان إلى مكان، لأنه موجود في كل مكان، في نفس الوقت.. فإن قيل عن الناسوت إنه صعد جسديا، وقيل عن اللاهوت إنه لا يصعد، فلا يعني هذا إطلاقا انفصال اللاهوت عن الناسوت ! فلاشك أن السيد حينما صعد إلى السماء بالجسد، كان لاهوته متحدا بناسوته بغير انفصال، ولكن نسب الصعود إلى الناسوت فقط، لأن الصعود ليس من خواص اللاهوت الموجود في كل مكان"[4]. كلام البابا يدحض قول يعقوب ملطي وتفسير "الموسوعة الكنسية"، بدليل أن اللاهوت غير محدود وعليه، فالنص يتعلق بالناسوت. إلا أن البابا نفسه وقع في خطأ، عندما قال: فلاشك أن السيد حينما صعد إلى السماء بالجسد، كان لاهوته متحدا بناسوته بغير انفصال. وبناء على قوله هذا، يجوز أن ينسب إلى اللاهوت النزول والصعود نظرا لاعتقاده بعدم انفصال الناسوت عن اللاهوت.

وخلاصة التعليق على هذه الأقوال أن المفسرين المسيحيين يحاولون ربط كل نص بالمسيح ليثبتوا أنه هو الله، إلا أن المشكل في هذا هو اعتماد منهج غير سليم في التعامل مع النصوص والمتمثل في التفسير التعسفي للنص. والنص السابق لم يفلحوا في فهمه؛ لأن المسيح عليه السلام لم ينزل من السماء وإنما ولدته مريم العذراء. ومن ثمة فهو مخلوق.

---

(1) يوحنا13/3 .

(2) "الاصطلاحان طبيعة وأقنوم في الكنيسة الأولى"، يعقوب ملطي، ص: 30.

(3) "الموسوعة الكنسية لتفسير العهد الجديد بشارتي لوقا ويوحنا"، ص: 302.

(4) "بدعة حديثة"، البابا شنودة، ط1، 2006 مصر، ص: 171.

- "تأنس وصلب في عهد بيلاطس البنطي تألم وقبر وقام من بين الأموات في اليوم الثالث كما في الكتب"[1].

- "صعد إلى السماء وجلس على يمين أبيه": الذي صعد إلى السماء هو المسيح بناسوته ولاهوته، وقبل الرد على هذا الجزء من "قانون الإيمان"، نترك الأسقف غريغوريوس يشرح ذلك بقوله: "إن الكتاب المقدس يبين لنا أن المسيح له المجد بعد أن صعد إلى السماء جلس على العرش في السماء.. والجلوس على العرش ينسب إلى المسيح لا من حيث لاهوته، فاللاهوت غير محصور وغير محدود بعرش أو كرسي، كذلك فعل الجلوس لا ينسب إلا لمن له جسد"[2]. ودليله في ذلك ما جاء في كل من لوقا وأعمال الرسل، فقد ورد في لوقا: (ثُمَّ إِنَّ الرَّبَّ بَعْدَمَا كَلَّمَهُمُ ارْتَفَعَ إِلَى السَّمَاءِ، وَجَلَسَ عَنْ يَمِينِ اللَّهِ)[3]. وجاء في أعمال الرسل: (وَأَمَّا هُوَ فَشَخَصَ إِلَى السَّمَاءِ وَهُوَ مُمْتَلِئٌ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ فَرَأَى مَجْدَ اللهِ وَيَسُوعَ قَائِماً عَنْ يَمِينِ اللهِ. 56فَقَالَ: «هَا أَنَا أَنْظُرُ السَّمَاوَاتِ مَفْتُوحَةً وَابْنَ الإِنْسَانِ قَائِماً عَنْ يَمِينِ اللهِ)[4]. يعلق الأسقف على النصين قائلا: (والجلوس عن يمين الله معناه الجلوس على عرش الله في الملكوت، لأن اللاهوت غير محدود فليس له يمين أو شمال)[5].

المدقق في النصوص وتعليق الأسقف يكتشف ما يلي:

- أن هناك حملا للنص على غير محمله، فالنصوص واضحة تقول جلس على يمين الله" وليس على يمين العرش.
- قوله جلس بناسوته وليس بلاهوته يطرح مشكل للأسقف الذي قال سابقا في أحد كتبه ضمن "الموسوعة": "إن الاتحاد بين لاهوت المسيح وناسوته أي إنسانيته، اتحاد تام وحقيقي وكامل فإنه لا يقبل المفارقة أو الافتراق لحظة واحدة أو طرفة عين"[6]. ومن ثمة فإذا جلس بناسوته فقط، فيعني أن هناك افتراقا، وهذا يعد طعنا في إيمان المسيحيين.
- "قانون الإيمان" قال بصراحة: صعد إلى السماء وجلس على يمين أبيه. فهل العرش يعتبر أب المسيح؟ طبعا لا فليس هناك نص يقول بهذا. وتعبير

---

(1) عقيدة صلب المسيح، هي عقيدة دخيلة على المسيحية، ومن يتتبع روايات الأناجيل حولها سيخرج بخلاصة أن الصلب لم يحدث البتة. وسوف أتطرق لهذا الموضوع بشكل مفصل في كتاب مستقل.

(2) "لاهوت السيد المسيح"، غريغوريوس، ص: 712

(3) مرقس19/16

(4) أعمال الرسل7/55-56

(5) "لاهوت السيد المسيح"، غريغوريوس، ص: 713

(6) " "اللاهوت العقيدي سرى التجسد والفداء"، غريغوريوس، ص: 146

"قانون الإيمان" هو أيضا غير منطقي فكيف يجلس المسيح وهو الله المتجسد على يمين الله أبيه، فهل هناك إله بجانب إله؟ هذا ما على المسيحيين الإجابة عنه.

المبحث الخامس

علم المسيح بكل شيء

1 - علم المسيح بالساعة

علم المسيح بالساعة دليل على ألوهيته في اعتقاد المسيحيين، إلا أن النص في ذلك محل نظر، جاء في مرقس عن هذا الأمر ما يلي: (وَأَمَّا ذِلِكَ الْيَوْمُ وَتِلْكَ السَّاعَةُ فَلاَ يَعْلَمُ بِهِمَا أَحَدٌ، وَلاَ الْمَلاَئِكَةُ الَّذِينَ فِي السَّمَاءِ، وَلاَ الإِبْنُ، إِلاَّ الآبُ)[1]. فالذي يقرأ النص يستنتج أن يوم الساعة لا يعلمها أحد لا الملائكة ولا الابن إلا الآب، أي المسيح لا يعلم يوم مجيئه، ومن هنا نقول للمسيحيين لا لقولكم أن المسيح هو الله.

لكن كيف يفهم المسيحيون هذا النص؟ يجيب أحد الكتاب الذي يدافع عن ألوهية المسيح قائلا: "ماذا قصد الرب يسوع من كلماته؟ إن قول الرب يسوع: "ولا الابن" لا ينفي معرفته بذلك اليوم وتلك الساعة. مثلا: إذا سألت أحد المدرس عن الأسئلة التي ستأتي في الامتحان فإنه سيقول لك: لا أعرف، مع أنه يعرف الأسئلة لكنه يرفض البوح بها. وعدم إمكانيته أن يعلن ما قد وضعه من الأسئلة لا يعني أنه لا يعرفها، فهو من وضعها أساسا!. كذلك الأمر مع السيد المسيح فإنه يعلم بذلك اليوم، وبكل تفاصيله لكنه لا يعرفه معرفة البوح به تماما كما فعل المدرس"[2].

وهناك من ذهب إلى أن المسيح له علم بذلك اليوم، لكن بلاهوته فقط. يقول الأسقف غريغوريوس: "كيف نفى المسيح عن نفسه المعرفة؟ ذلك باعتبارين: أما أولا، فلأن المسيح كما أنه هو ابن الله كذلك هو ابن إنسان. وهو يعرف اليوم والساعة بصفته كائنا في الآب ومتحدا معه في الجوهر والذات ولكنه لا يعرفها بوصفه ابن إنسان، ولو كان يقصد الابن من حيث هو أزلي، ففي قوله إلا الآب كأنه ينفي المعرفة عن الروح القدس وهو الأقنوم الثالث من اللاهوت، وهو روح الله، وكيف يمكن أن نتصور الله يعرف أمرا لا يعرفه روحه؟ وإذن فالمسيح لا يتكلم عن نفسه

---

(1) مرقس36/13

(2) "إثبات عقيدة لاهوت السيد المسيح"، الربان أنطونيوس حنا لحدو، تقديم المطران مار فيلكسينوس ماتياس نايش، ص: 76

من حيث هو إله، ولكن من حيث هو إنسان، وابن الإنسان، فبهذه الصفة لا يعرف زمن القيامة"[1]. فهل هذا مقنع وصحيح؟ الجواب: لا.

إن صعوبة تفسير النص أسقطت الأسقف غريغوريوس في أمر جد خطير، لأنه قال سابقا: "يجب أن نعتبر أن الكلمة المولود من الله الآب، والهيكل المأخوذ من القديسة العذراء، هما واحد. لا كأنهما من جوهر واحد ولكن لأن فكرة التقسيم بعد الاتحاد الذى لا يعبر عنه، فكرة كفرية"[2]. ثم قال أيضا: "إن الاتحاد بين لاهوت المسيح وناسوته أي إنسانيته، اتحاد تام وحقيقي وكامل فإنه لا يقبل المفارقة أو الافتراق لحظة واحدة أو طرفة عين"[3]. بهذا يكون الأسقف كفر نفسه؛ لأنه فسر النص على أساس علم المسيح بالساعة بلاهوته فقط دون الناسوت وهو القائل بعدم التفرقة.

فالاعتبار الأول باطل بالدليل، أما الاعتبار الثاني: فقال عنه: "لما أنكر المسيح عن نفسه هذه المعرفة، فلأن لله حكمة في أن يظل يوم الساعة مخفيا عن الناس حتى لا يتوانوا عن الجهاد والعمل"[4]. في هذا الاعتبار جاء الكلام عاما لم يوضح الأسقف طبيعة هذا الإنكار، فهل أنكر لاهوته عن ناسوته؟ أم غيره وهذا ما لم يوضحه. فالنص قال "ولا الابن" دون حديث عن لاهوت أو ناسوت.

ويضيف الأسقف كلاما يراه مهما إلا أنه في الحقيقة ليس في صالحه، يقول[5]: "ومما يلفت النظر حقا أن كلمة "ولا الابن" لم ترد في غير إنجيل مرقس، فقد وردت هذه العبارة بتمامها في إنجيل القديس متى (36/24) خلوا من هذه اللفظة. قال: (وَأَمَّا ذَلِكَ الْيَوْمُ وَتِلْكَ السَّاعَةُ فَلاَ يَعْلَمُ بِهِمَا أَحَدٌ، وَلاَ مَلاَئِكَةُ السَّمَاوَاتِ، إِلاَّ أَبِي وَحْدَهُ)[6].

لكن هناك ترجمات تحتوي على لفظة "ولا الابن" في إنجيل متى أذكر منها:

- الترجمة العربية المشتركة: (أمّا ذلِكَ اليومُ وتِلكَ السَّاعةُ فلا يَعرِفُهُما أحدٌ، لا ملائِكةُ السَّماواتِ ولا الأبنُ، إلاّ الآبُ وحدَهُ).
- الترجمة اليسوعية: (فَأَمَّا ذلكَ اليومُ وتلكَ السَّاعَة، فما مِن أحَدٍ يَعلَمُها، لا مَلائكةُ السَّمَواتِ ولا الابنُ إلاَّ الآبُ وَحْدَه).

---

(1) "لاهوت السيد المسيح"، غريغوريوس ، ص: 663-664 -

(2) " "اللاهوت العقيدي سرى التجسد والفداء"، غريغوريوس، ص: 39

(3) نفسه، ص: 146

(4) "لاهوت السيد المسيح"، غريغوريوس، ص: 664

(5) نفسه، ص: 165

(6) متى36/24

- الترجمة البولسية: (أمَّا ذلك اليومُ وتِلكَ السَّاعةُ، فلا يَعْلَمُهما أحدٌ، ولا مَلائكةُ السَّماواتِ، ولا الابْنُ، إلاَّ الآبُ وحدَه).
- العهد الجديد يوناني عربي: (أمّا ذلِكَ اليومُ وتِلكَ السَّاعةُ فلا يَعرِفُهُما أحدٌ، لا ملائِكةُ السَّماواتِ ولا الأبنُ، إلا الآبُ وحدَه).

هذه أربع ترجمات أوردت "ولا الابن" في إنجيل متى وهذا رد على قول الأسقف غريغوريوس الذي قال لم ترد عبارة ولا الابن إلا في مرقس.

2 - المسيح وشجرة التين:

من الأدلة على جهل المسيح ما ذكره مرقس في قوله:(وَفِي الْغَدِ لَمَّا خَرَجُوا مِنْ بَيْتِ عَنْيَا جَاعَ، 13 فَنَظَرَ شَجَرَةَ تِينٍ مِنْ بَعِيدٍ عَلَيْهَا وَرَقٌ، وَجَاءَ لَعَلَّهُ يَجِدُ فِيهَا شَيْئاً. فَلَمَّا جَاءَ إِلَيْهَا لَمْ يَجِدْ شَيْئاً إِلاَّ وَرَقاً لأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ وَقْتَ التِّينِ)[1]. من خلال هذه القصة يظهر فعلا أن المسيح لم يكن يعلم كل شيء، لذلك توجه نحو الشجرة لعله يجد ما يأكل. لكن لما وصل لم يجد شيئا، سوى الورق؛ لأنه لم يكن وقت التين، فالمسيح جهل من وجهين، جهل بوجود التين وجهل بوقت التين[2].

بعد هذا العرض لاعتقاد المسيحيين بأن المسيح هو الإله الذي يعلم كل شيء؛ تبين أن الأدلة التي اعتمدوا عليها لم تكن في صالحهم بل كانت ضدهم، وذلك بناء على مناقشة أدلتهم وطريقتهم في تغيير النصوص، وكذلك بيان اختلاف تفسيراتهم لها، وهذا ما يجعل اعتقادهم بعلم المسيح بكل شيء مردودا عليهم بأدلة هم يؤمنون بها. وعليه، يكون المسيح بشرا مخلوقا أرسله الله لهداية بني إسرائيل. وجهله بالغيب لخَير دليل على علمه المحدود، كما شهدت به نصوص الكتاب المقدس.

---

(1) مرقس11/12-13 -

(2)- تجدر الإشارة إلى أن هذه القصة فيها تناقض؛ فإنجيل متى (الاصحاح 21) ذكر هذه القصة أنها جاءت بعد طرد المسيح الباعة من الهيكل، وأن شجرة التين يبست في الحين بمجرد لعنه إياها، أما مرقس (الاصحاح11) يخالفه فالقصة وقعت قبل طرد الباعة من الهيكل، ولم يقل أن الشجرة يبست في الحين؛ وإنما في اليوم الثاني رأوها يابسة. فأين هو الاعتقاد بسلامة الكتاب المقدس من التحريف والتناقض؟. وأين هو القول أن المسيح هو؟ ومتى مرقس يتناقضان فمتى يعتبر الشجرة يبست في الحل ليؤكد على قدرة المسيح الإله بينما متى يخالفه في ذلك

المبحث السادس

أزلية المسيح عليه السلام

سبق أن ناقشت قضية الاعتقاد بأن المسيح هو الخالق، وكان مرجعي في ذلك مصادر ومراجع مسيحية. وكانت نتيجة ذلك أن المسيح ليس هو الخالق، وإنما هو مخلوق خلقه الله؛ ويعني أنه كان هناك وقت لم يكن فيه المسيح موجودا. إلا أنه رغم كل هذا بقي المسيحيون ينسبون إلى المسيح صفة الأزلية. لذا لا بد من توضيح هذه.

إن أقوى دليل عندهم على أزلية المسيح هو قول المسيح: (قَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: قَبْلَ أَنْ يَكُونَ إِبْرَاهِيمُ أَنَا كَائِنٌ)[1]. وفي تفسيرها يقول المسيحيون: هذه العبارات تعد من أقوى الكلمات التي نطق بها يسوع. وعندما قال الرب: "إنني كائن من قبل أن يكون إبراهيم" أي من قبل أن يولد إبراهيم، فإنه بذلك يعلن لاهوته (طبيعته الإلهية) بلا إنكار"[2]. إلا أن هذا التفسير يقوِّل النص ما لم يقله، فليس هناك نص يقول فيه المسيح: أنا لي لاهوت وناسوت، ومن ثمة، فالقول بأن المسيح أعلن ألوهيته، لا يخوله لهم هذا النص مطلقا.

وفسر القس إبراهيم سعيد النص قائلا: "فهو لم يقل قبل أن يكون إبراهيم أنا كنت، وإنما قال كائن، فليس في سجل الزمن وقت لم يكن فيه المسيح كائنا. إن الوقت الذي وجد فيه المسيح، لم يولد بعد في أحضان الزمن. فالمسيح هو رب الزمن لأنه أزلي أبدي"[3].

ويكفي للرد على هذا التفسير ما قاله البابا شنودة الذي رغم محاولته ربط النص بلاهوت المسيح، إلا أنه جعل ذلك مرتبطا بزمن، يقول: "قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن، ومعنى هذا أن له وجودا وكيانا قبل مولده بالجسد بآلاف السنيين، قبل أبينا إبراهيم، وقد فهم من هذا أنه يتحدث عن لاهوته"[4]. فشنودة اعتبر وجود المسيح بآلاف السنيين قبل إبراهيم، وهذا يفهم منه أنه له بداية، هذا يخالف قول إبراهيم سعيد، الذي ذكر في تفسيره تشبثه بلفظة أكون لأنها أدق تعبيرا عنده، إلا أن هناك ترجمات لا توجد فيها هذه العبارة أذكر منها:

- ترجمة 1591: "الحق الحق أقول لكم قبل أن يكون ابراهيم".
- ترجمة1671: ...(إنني أنا قبل أن يكون ابراهيم.

---

(1) يوحنا58/8

(2) "التفسير التطبيقي للكتاب المقدس"، ص: 2203 -

(3) شرح بشارة يوحنا"، إبراهيم سعيد، ص: 377 -

(4) "لاهوت المسيح"، شنودة، ص: 39

- ترجمة رجارد واطس: ....(إنني قبل أن يكون ابراهيم).

فلفظة "أنا كائن" التي بنى عليها إبراهيم سعيد تفسيره محذوفة من بعض الترجمات، مما يعني أنه ليست لها الأهمية في النص، فلا شك أن للنص مفهوما آخر فما هو هذا المفهوم؟

يفهم من النص أنه كان في علم الله الأزلي، أنه سيخلق المسيح. وليس أن المسيح هو الله الأزلي. وأثبت هنا نصا مهما يفهم منه هذا المعنى. يقول مينا مخائيل تحت عنوان "علم الله وحكمته": "بما أن الله سبحانه وتعالى موجود في كل مكان، وأنه يملأ الأرض والسماء، وهو كامل وغير متغير ولا محدود في جوهره، فيستلزم أنه ذو علم غير محدود ولا متغير أيضا...غير أن علم الله ليس اكتسابا بل ذاتيا طبيعيا، ولم يحصل عليه بالبحث والتفتيش، وليس معرضا للزيادة والنقص، لأن كل الأشياء التي حدثت وسوف تحدث إلى ما لا نهاية ، هي موضوعة أمام عينه من الأزل"[1].

هذا القول يؤكد أن كل الأشياء سواء التي حدثت أو التي ستحدث موضوعة أمام عين الله منذ الأزل، فوجود المسيح بناء على نص مخائيل، كان في علم الله منذ الأزل، وهنا يطرح السؤال لماذا لا يكون المسيح هو نفسه الله الذي يعرف ما سيحدث؟ سؤال جد مهم لأنه المسيحيين يعتقدون بألوهية المسيح.

والإجابة عنه هذا السؤال هي :

- إن المسيح لا يعلم الغيب، مثل جهله بوقت الساعة وعدم علمه بوجود الثمار على شجرة التين.
- إن الله لا يتغير وليس معرضا للزيادة والنقصان، أما المسيح فبشر متغير. جاء في لوقا: (أَمَّا الصَّبِيُّ فَكَانَ يَنْمُو وَيَتَقَوَّى بِالرُّوحِ، وَكَانَ فِي الْبَرَارِي إِلَى يَوْمِ ظُهُورِهِ لإِسْرَائِيلَ)[2].
- الله حي لا يموت، أما المسيح فقد مات وعلق على خشبة حسب اعتقادهم.

وهذا ما يجعل قول المسيح: إنني قبل أن يكون إبراهيم، مقصوده أنه كان في علم الله الأزلي أن المسيح سيخلق، وليس المقصود أن المسيح هو الله الأزلي.

ومن النصوص على أزلية المسيح عندهم ما ورد في سفر الأمثال: (الرَّبُّ قَنَانِي أَوَّلَ طَرِيقِهِ مِنْ قَبْلِ أَعْمَالِهِ مُنْذُ الْقِدَمِ. 23مُنْذُ الأَزَلِ مُسِحْتُ مُنْذُ الْبَدْءِ مُنْذُ أَوَائِلِ الأَرْضِ)[1].

"(1) علم اللاهوت"، ميخائيل مينا مدير كلية اللاهوت بحلوان، مطبعة الأمانة مصر، ط4، 1948، ص: 140 .

(2) لوقا1/80، وقد يردون على النص أنه خاص بالناسوت، لكن لا يستقيم لهم هذا لاعتقادهم أن المسيح هو الله المتجسد

يقول أنطونيوس حنّا لحدو: "الترجمة السبعينية ترجمت كلمة "قناني" العبرية إلى خلقني والفعل العبري لكلمة قناني קנני هو"קָנָה "(كَنَا) يفسر بأن الشخص اقتنى شيئا، وتأتي بمعنى نال، استمسك، امتلك (حسب يحزقال قوجمان)[2]. ثم يضيف: "والقديس أثناسيوس الرسولي أثبت لأريوس أن الأصل العبري يأتي بمعنى الولادة وكأن المعنى الرب ولدني. فولادة الابن من الآب أزلية هو نور من نور، إله حق من إله حق"[3].

ما يسجل على هذا القول هو أن صاحبه لم يكن أمينا في نقله عن قوجمان، فقد اقتصر على ذكر ثلاث معان، وبالرجوع إلى المعجم وجدت معاني أخرى تغاضى الكاتب عن ذكرها وهي كما يأتي:

"קָנָה: اشترى، ابتاع، حصل، نال، أحرز، اكتسب، خلق، وضع اليد على، استمسك، حاز على حق، امتلك"[4]. وأهم معنى هو خلق. ولعل، اهماله، له ما يبرره، حتى لا يقال "الرب خلقني أول طريقه". والدليل هو استرساله في القول أن أثناسيوس أثبت لأريوس أن الأصل العبري هو الولادة، لكن هذا أيضا لا يسلم له به، فلا يصح القول بأن الله ولد المسيح نظرا لقولهم بالتجسد وليس الولادة، وقوله "إله حق من إله حق" هو الفيصل، فمن غير المقبول أن يقبلوا بأنه إله حق ولد إلها حقا.

والجملة: "الرب قناني أول طريقه" تعني: "أن الآب يقتني حكمة أزلية. ومن هنا يتضح التمايز بين الأقانيم فالآب يقتني والابن هو المقتنى"[5]. وهذا لا يصح، فلا يمكن القول أن الله كان بدون حكمة ثم اقتناها. وهناك اختلاف حول "أول طرقه"، فيعقوب ملطي اعتبر ذلك دليل التجسد، يقول: "لا نتعثر من القول":أول طرقه"، فبالتجسد الإلهي احتل الأقنوم المتجسد موضع آدم، فكما بسقوط آدم فسدت الطبيعة البشرية، هكذا بنصرة آدم الجديد وبره صارت النصرة والبرّ للبشرية"[6]. وهذا تفسير بعيد عن الفهم ولا يمت للنص بصلة لعدم ادراك المفسر لمعنى النص، ولعل الأمر نفسه يعاني منه أنطونيوس فكري الذي يقول عن عبارة "أول طرقه": " أول

---

(1) سفر الأمثال8/22-23

(2) "إثبات عقيدة لاهوت المسيح"، لحدو، ص: 19

(3) نفسه

(4) "יחזקאל קוגמן، מילון עברי – ערבי"، ص: 821

(5) "إثبات عقيدة لاهوت المسيح"، لحدو، ص: 19-20

(6) http://st-takla.org/pub_Bible-Interpretations/Holy-Bible-Tafsir-01-Old-Testament/Father-Tadros-Yacoub-Malaty/22-Sefr-El-Amthal/Tafseer-Sefr-El-Amthal__01-Chapter-07.html

طريقه =الله لا يبدأ أي طريق أو أي عمل من أعماله إلا بالحكمة"[1]. هنا العبارة بعيدة عن القول بالتجسد كما ذهب إلى ذلك ملطي.

ثلاثة أراء حول نص واحد من غير اتفاق؛ فهناك من فهم العبارة أنها تعني "اقتناء الآب الابن"، والنص لا يسمح بذلك، وإنما هو تعسف في تفسيره، وبعيدا عن هذا فسرت العبارة بأنها خاصة بالتجسد، والرأي الثالث خصها ببدء الله لأعماله بالحكمة. واختلافهم هذا راجع إلى تحريف النص عن معناه الذي يتحدث عنه.

وعن تفسير قوله: (مُنْذُ الأَزَلِ مُسِحْتُ مُنْذُ الْبَدْءِ مُنْذُ أَوَائِلِ الأَرْضِ)، يقول أنطونيوس فكري: "منذ الأزل مسحت= كلمة مسحت تعني ممسوح بالزيت ليكرس لعمل معين، كما كانوا يمسحون الملوك ورؤساء الكهنة. وقد تعني كلمة مسحت، أن أقنوم الحكمة قد تخصص أو تعين لعمل الخلقة (يو1:1-3). ولكن هذه تشير لعمل المسيح الفدائي. فالابن تحدد له عمل الفداء منذ الأزل داخل المشورة الثالوثية. فالمسيح مُسِحَ أي تحدد له دور وعمل الفداء منذ الأزل"[2]. المفسر هنا يحاول ربط النص بالمسيح رغم أن النص لا يحتمل ذلك، فالسياق لا يثبت أن النص فيه إشارة إلى الفداء.

أما يعقوب ملطي في تفسيره فلا يرى أن النص يتعلق بالفداء أو فعل الخلق وهذا نصه: "يؤكد الحكمة الإلهي أنه كان موجودًا قبل الأمور الآتية:

- كل الخليقة.
- وجود الأرض.
- أعماق ينابيع المياه.
- تأسيس الجبال والتلال.
- الأرض وأعفار المسكونة.
- السماء والسحب.
- قوانين الطبيعة"[3].

---

(1) http://st-takla.org/pub_Bible-Interpretations/Holy-Bible-Tafsir-01-Old-Testament/Father-Antonious-Fekry/22-Sefr-El-Amthal/Tafseer-Sefr-El-Amthal__01-Chapter-08.html

(2) http://st-takla.org/pub_Bible-Interpretations/Holy-Bible-Tafsir-01-Old-Testament/Father-Antonious-Fekry/22-Sefr-El-Amthal/Tafseer-Sefr-El-Amthal__01-Chapter-08.html

(3) http://st-takla.org/pub_Bible-Interpretations/Holy-Bible-Tafsir-01-Old-Testament/Father-Tadros-Yacoub-Malaty/22-Sefr-El-Amthal/Tafseer-Sefr-El-Amthal__01-Chapter-08.html#3._الحكمة_الأزلي

لقد استعمل يعقوب ملطي تعبيرا مهما كي يثبت للمتلقي أن النص حديث عن وجود المسيح الأزلي، وهو قوله: "يؤكد الحكمة الإلهي أنه كان موجودًا" هذا تعبير مهم لأنه استعمل التذكير وليس التأنيث في كلامه. ومثل هذا كما مر استعمل في التعبير عن الكلمة التذكير؛ لاعتقادهم بأن المسيح إله، والله مذكر. إلا أن المفسر لن يفلح في هذا ويكفي القارئ لسفر الأمثال أن يتتبع النص من بداية الاصحاح الثامن سيجد الحديث عن الحكمة بالتأنيث وليس بصيغة المذكر؛ وذلك كالآتي:

- (الحِكمة تُنادي، وجهارًا تَرفَعُ صوتَها).
- (وفي النَّوافذِ ها هيَ تَصيحُ).
- (فالحِكمةُ خيرٌ مِنَ اللآلئ، وكُلُّ الجواهِرِ لا تُساويها).

هذه أمثلة فقط من الإصحاح الثامن[1] الذي يوجد ضمنه النص موضوع الدراسة، إن الحديث كان عن الحكمة بصيغة التأنيث وليس بصيغة التذكير وهو يبطل تعبير ملطي في تذكيره للحكمة، هذا من جهة أولى، ومن جهة ثانية فالمسيحيون يؤمنون بأن المسيح هو الخالق، والحكمة في سفر الأمثال مخلوقة وهذا ما تؤكده بعض الترجمات:

- الترجمة اليسوعية: (الرَّبُّ خَلَقَني أُولى طرقِه قَبلَ أعمالِه مُنذُ البَدْء).
- الترجمة الإنجليزية لـ: William B. Brown

- The LORD made me as the beginning of His way, the first of His works of old.

- الرب خلقني: The LORD made me.
- الترجمة الإنجليزية THE GOOD NEWS BIBLE:

- The LORD created me first of oll, the first of his works, long ago.

إذا، لا مجال لتفسير الحكمة بأنها هي المسيح. فالحكمة حسب هذه الترجمات مخلوقة والمسيح في اعتقاد المسيحيين هو الله الخالق لكل شيء[2]. وبناء عليه، يستحيل الجمع بين الأمرين فما دامت الحكمة مخلوقة، فليس لها صلة بالمسيح.

إذا، فالحكمة في النص خاصة بسليمان، ولا علاقة لها بالمسيح. يقول الأستاذ منقذ السقار: "وقول بعض النصارى إن سفر الأمثال كان يتحدث عن المسيح عليه السلام لا دليل عليه، فسفر الأمثال قد كتبه سليمان كما في مقدمته "أمثال سليمان بن داود" (الأمثال 1/1)، وقد تكرر في مواضع متفرقة منه استمرار سليمان الحكيم في

---

(1) ولمزيد من النصوص حول التعبير عن الحكمة بصيغة التأنيث، يكفي قراءة سفر الأمثال

(2) لا بد هنا من استحضار ما ذكرناه على قولهم بالمسيح الخالق، فقد سبق تفنيده بأدلة تؤكد أنه عليه السلام مخلوق، وعليه، فلا يقول قائل إذن من الممكن ربط الحكمة بالمسيح ما دام المسيح مخلوقا والحكمة مخلوقة. أقول إن الدراسات النقدية هي التي أثبتت أن المسيح مخلوق أما المسيحيون فيرفضون ذلك.

الحديث، وهو يقول: "يا ابني أصغ إلى حكمتي" (الأمثال 1/5)، وانظر (الأمثال 8/1، 1/3، 21/3، 1/7 وغيرها)، فالمتحدث في السفر هو سليمان عليه السلام والحكمة المتجسدة فيه"[1].

إن نص الأمثال لا تربطه صلة بالمسيح، وإنما هو خاص بسليمان، لذلك يضيف منقذ السقار بخصوص هذا الأمر قائلا: "وسليمان هو الموصوف بالحكمة في الكتاب المقدس، وأي حكمة؟ حكمة الله، فقد رأى معاصروه فيه حكمة الله "ولما سمع جميع إسرائيل بالحكم الذي حكم به الملك، خافوا الملك، لأنهم رأوا حكمة الله فيه" (الملوك (1) 28/3). ويمضي السفر ليبين لنا عِظَم حكمة الله التي حلت وتجسدت في سليمان الحكيم، فيقول: "وأعطى الله سليمان حكمة وفهماً كثيراً جداً ... وفاقت حكمة سليمان حكمة جميع بني المشرق وكل حكمة مصر، وكان أحكم من جميع الناس ... وكان صيته في جميع الأمم حواليه ... وكانوا يأتون من جميع الشعوب ليسمعوا حكمة سليمان، من جميع ملوك الأرض الذين سمعوا بحكمته" (الملوك (1) 29/4-34)"[2].

أخلص بناء على ما سبق إلى أن الحديث في سفر الأمثال كان حديثا عن حكمة سليمان عليه السلام التي أعطاه الله إياها، وعليه فإن تفسير النص لصالح أزلية المسيح مرفوض ومردود بشهادة النصوص، رغم محالة المسيحيين تغييرها وتفسيرها تفسيرا تعسفيا.

(1) "الله واحد أم ثلاثة"، منقذ السقار، دار الإسلام للنشر والتوزيع، ط1، 2007، ص: 69

(2) "الله واحد أم ثلاثة"، السقار، ص: 96-70

المبحث السابع
تسمية المسيح بأسماء اللّه

1 - يهوه

يؤمن المسيحيون بأن المسيح هو "يهوه" يقول جوش مكدويل: "اتخذ المسيح لنفسه اسما من أسماء الله يوقّره اليهود أكثر من غيره، اسما يعتبر مقدسا إلى درجة لا يجرؤ معها اليهودي على النطق به، ألا وهو يهوه. وقد كشف الله لشعبه معنى هذا الاسم في الإصحاح الثالث من الخروج فعندما سأل الله موسى الله بأي اسم يدعوه أجابه الرب"[1]: («أَهْيَهِ الَّذِي أَهْيَهْ». وَقَالَ: «هَكَذَا تَقُولُ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: أَهْيَهْ أَرْسَلَنِي إِلَيْكُمْ»)[2].

والسؤال الذي يطرح هنا كيف يتم الربط بين أن المسيح هو "يهوه" وبين "أهيه" الوارد في سفر الخروج؟

يجيب مكدويل:"قامت الترجمة السبعينية بترجمة أول استخدام لتعبير أَهْيَهْ في خروج 14/3إلى ego eimi. وهكذا فقد كانت الصيغة التوكيدية لأهيه ego eimi في اللغة اليونانية زمن يسوع معادلة لكلمة يهوه العبرية. واعتمادا على هذا السياق، فإنه يمكن أن تكون طريقة توكيدية لقول "أنا هو" كما في يوحنا 9/9 آخَرُونَ قَالُوا: «هَذَا هُوَ». وَآخَرُونَ: «إِنَّهُ يُشْبِهُهُ». وَأَمَّا هُوَ فَقَالَ: «إِنِّي أَنَا هُوَ»، أو يمكن أن تكون اسم الله نفسه، أَهْيَهْ الأبدي"[3].

في هذا القول يبين مكدويل أن المسيح هو يهوه، وذلك اعتمادا على الترجمة السبعينية التي ترجمت أهيه إلى ego eimi وهو نفس ترجمة أنا هو أي ego eimi. وذلك بناء على اعتقاده بأن كلمة "أهيه" في سفر الخروج هي يهوه. وأوضح نص – حسب اعتقادهم- يعتمدون عليه من الإنجيل لربط نص سفر الخروج بما جاء في الإنجيل هو نص يوحنا: (وسبق الفصل فيه) (قَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: قَبْلَ أَنْ يَكُونَ إِبْرَاهِيمُ أَنَا كَائِنٌ»)[4]. وهذا النص سبقت مناقشته في معرض حديثي عن موضوع أزلية المسيح وبينت من خلاله أن المسيح مخلوق وليس أزليا.

---

(1)"حقيقة لاهوت يسوع المسيح"، لحدو، ص: 18-19

(2) سفر الخروج14/3

(3) "حقيقة لاهوت يسوع المسيح"، لحدو، ص: 19

(4) يوحنا58/8

إلا أن المسيحيين يحتجون بهذا النص هنا أيضا على أن المسيح هو "يهوه" يقول مكدويل: "استخدم يسوع تعبير ego eimi عدة مرات عن نفسه بطريقة لا تليق إلا بالله، وأوضح مثال لذلك هو عندما قال اليهود ليسوع: فَقَالَ لَهُ الْيَهُودُ: «لَيْسَ لَكَ خَمْسُونَ سَنَةً بَعْدُ، أَفَرَأَيْتَ إِبْرَاهِيمَ؟» 58قَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: قَبْلَ أَنْ يَكُونَ إِبْرَاهِيمُ أَنَا كَائِنٌ= ego eimi"[1]. هنا يتضح الربط أكثر بشكل واضح هكذا بشكل مبسط:

- أهيه في سفر الخروج = ego eimi
- أنا كائن في يوحنا = ego eimi

وعليه، يكون المسيح هو "يهوه" بناء على الترجمة السبعينية التي ترجمت "أهيه" و"أنا كائن" بنفس اللفظ. وقيل ذلك صراحة وكأن المسألة مفروغ منها، فهذا يوسف رياض يقول: "والآن ما الذي يعنيه قول المسيح: أنا كائن قبل إبراهيم. إن المسيح لا يقول لليهود قبل أن يكون إبراهيم أنا كنت، بل لاحظ عظمة قول المسيح: قبل أن يكون ابراهيم أنا كائن. إنها كينونة لا علاقة لها بالزمن، كينونة دائمة. إن عبارة أنا كائن تعادل تماما القول أنا الله أو أنا الرب أو أنا يهوه الذي هو اسم الجلالة بحسب التوراة العبرية. فهذا التعبير أنا كائن هو بحسب الأصل اليوناني الجديد وتعني Ego eimi إجو إيمي تعني الواجب الوجود والدائم، الأزلي والأبدي .فمن يكون ذاك سوى الله؟"[2].

إذا حسب هذه الأقوال المسيح هو يهوه ولا غبار على ذلك فعبارة أنا كائن هي أنا يهوه، إلا أن الأمر ليس كذلك فكلمة يهوه غير معروف أصلها ولا نطقها فبالأحرى ربطها بكلمة ego eimi أهيه التي وردت في سفر الخروج.

وفي الرد على هذه الأقوال ينبغي التأكيد على أن لفظة يهوه لم ترد في العهد الجديد مطلقا أي لم يقل المسيح أنا يهوه ولم يسميه أحد من كتبة الأناجيل بذلك، مما يجعل قولهم بأنه هو يهوه قول مجرد عن الدليل، هذا من جهة أولى.

ومن جهة ثانية فإن يهوه ليس إلها عالميا، يقول الدكتور عبد المجيد همو: "إن اسم يهوه اسم إله قبلي خاص، وليس إلها عالميا، ولم يستطيعوا أن يرتفعوا – اليهود- به إلى مستوى العالمية"[3]. وهذا ما تؤكده دائرة المعارف الكتابية التي تقول تحت عنوان يهوه: "يهوه وهذا هو اسم العلم الشخصي لإله إسرائيل كما كان كموش إله

---

(1) "حقيقة لاهوت يسوع المسيح"، لحدو، ص: 19

(2) "أريني أين قال المسيح أنا الله فاعبدوني؟"، يوسف رياض، دار الإخوة للنشر، ط2006، ص: 12

(3) "الله أم يهوه؟ أيهما إله اليهود؟"، عبد المجيد همو، مراجعة وتدقيق: إسماعيل الكردي، الأوائل للنشر والتوزيع والخدمات الطباعية، ط1،2003، ص: 101

موآب وداجون إله الفلسطينيين"[1]. إذا فيهوه إله خاص ببني إسرائيل فقط وليس إلها عالميا. وقد تطرق إلى هذه النقطة الدكتور جمال الدين الشرقاوي بقوله: "ولمعلومية القارئ المثقف، فإن عُبَّاد يهوه لا يؤمنون به كإله واحد أحد لا إله غيره، وإنما أمنوا به إلها خاصا بهم دون سائر الناس وأنه توجد آلهة غيره كثيرة تعبدها شعوب العالم"[2]. إذا فقول المسيحيين بأن المسيح هو يهوه هو اعتقاد فيه نظر؛ فهو إله خاص، أما المسيح فهم يبشرون به الأمم باعتباره الإله خالق الكون وغافر الخطايا.

ومن النصوص التي تبين أن يهوه إله من بين آلهة أخرى أذكر الآتي:

- سفر الخروج: (مَنْ مِثْلُكَ بَيْنَ الآلِهَةِ يَا رَبُّ؟)[3].

قد يقول قائل لا يوجد ذكر ليهوه في النص، فالرد هو أن الترجمات العربية- على الأقل ما هو متوفر عندي- تترجم يهوه بالرب، ولكي يزول الإشكال أثبت هنا النص العبري والنص الإنجليزي ليتضح الأمر:

- التوراة العبرية: (מִי-כָמֹכָה בָּאֵלִם יְהוָה).
- الترجمة الإنجليزية:

New World Translation of the Holy Scriptures:
you, O Jehovah?. - Who among the gods is like

- الترجمة الإنجليزية: World English Bible :

15:11Who is like you, Yahweh, among the gods?

- سفر الخروج: (الآنَ عَلِمْتُ أَنَّ الرَّبَّ أَعْظَمُ مِنْ جَمِيعِ الآلِهَةِ)[4].
- المقابل العبري هو: (עַתָּה יָדַעְתִּי، כִּי-גָדוֹל יְהוָה מִכָּל-הָאֱלֹהִים).
- المزمور: (لاَ مِثْلَ لَكَ بَيْنَ الآلِهَةِ يَا رَبُّ)[5].
- المقابل العبري هو: (אֵין-כָּמוֹךָ בָּאֱלֹהִים אֲדֹנָי).
- المزمور: (لأَنَّكَ أَنتَ يا رَبُّ عَلِيٌّ على الأرض كُلِّها مُتَعالٍ جِدًّا على الآلِهَةِ جَميعِهِم)[6].
- المقابل العبري: (כִּי-אַתָּה יְהוָה، עֶלְיוֹן עַל-כָּל-הָאָרֶץ؛מְאֹד נַעֲלֵיתָ، עַל-כָּל-אֱלֹהִים).

---

(1) "دائرة المعارف الكتابية"، م1، ص: 380

(2)الدين الشرقاوي، نشر مكتبة وهبة القاهرة، ط1، 2008، ص: 61 - "تابوت يهوه"، جمال

(3) سفر الخروج11/15

(4) سفر الخروج11/18

(5) مزمور8/86

(6) مزمور9/97

أكتفي بهذه الأمثلة التي جاءت مؤكدة لقول: أن يهوه هو إله من بين آلهة أخرى وهو إله خاص ببني إسرائيل.

والاسم "يهوه" غير معروف نطقه ولا أصله يقول القس حبيب سعيد: "ومما هو جدير بالذكر هنا أن النطق الأصلي الصحيح لاسم الجلالة في العبرية يهوه قد ضاع، أما الحركات التي توضع عادة حيثما توجد هذه الحروف الصامتة فهي متعلقة بكلمة أخرى أدوناي، وهي الكلمة التي كان ينطق بها عند قراءة الأسفار المقدسة بدل من يهوه التي لم يكن يجوز النطق بها لقدسيتها إلا لرئيس الكهنة مرة واحدة في السنة"[1]. بالإضافة إلى ضياع النطق الأصلي فاشتقاق الاسم هو أيضا مجهول وذلك بشهادة دائرة المعارف الكتابية بعد إقرارها بأن يهوه هو إله بني إسرائيل تقول: "ولا نعرف المعنى الأصلي ولا مصدر اشتقاق الكلمة"[2]. وهنا لا بد من ملاحظة أنه إذا كان نطق واشتقاق الاسم يهوه مجهولين، فكيف يصح ويعقل ربط قول المسيح: "أنا أكون" باسم "يهوه" غير المعروف أصلا؟. ونص سفر الخروج نفسه لم يكن يعني بقوله: «أَهْيَهِ الَّذِي أَهْيَهْ» الله يهوه.

يؤكد هذا اصطفان شربنتيه بقوله: "يبدو أن الله يدلي باسمه لموسى، في الواقع ليس اسما بقدر ما هو دليل على حضور مع أننا لا نعرف كيف نلفظ هذا الاسم"[3]. فهذا الكاتب ينفي أن يكون نص سفر الخروج له صلة بإعلان الاسم يهوه. وأنتقل بهذا القول المهم إلى نقطة أخرى ذات أهمية لكونها تعد حدا قاطعا من جهتها لربط يهوه بالمسيح، وهي صفات يهوه.

- صفات يهوه ليست هي صفات المسيح:

أقرر بداية أن المسيح في المعتقد المسيحي يمتاز بالصفات الحسنة والأخلاق العالية جاء في متى قول المسيح: (سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ: عَيْنٌ بِعَيْنٍ وَسِنٌّ بِسِنٍّ. 39وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: لاَ تُقَاوِمُوا الشَّرَّ، بَلْ مَنْ لَطَمَكَ عَلَى خَدِّكَ الأَيْمَنِ فَحَوِّلْ لَهُ الآخَرَ أَيْضاً. 40وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يُخَاصِمَكَ وَيَأْخُذَ ثَوْبَكَ فَاتْرُكْ لَهُ الرِّدَاءَ أَيْضاً. 41وَمَنْ سَخَّرَكَ مِيلاً وَاحِداً فَاذْهَبْ مَعَهُ اثْنَيْنِ. 42مَنْ سَأَلَكَ فَأَعْطِهِ، وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَقْتَرِضَ مِنْكَ فَلاَ تَرُدَّهُ)[4]. لكن صفات يهوه غير هذا ومنها:

---

(1) "المدخل إلى الكتاب المقدس"، حبيب سعيد، صدر عن دار التأليف والنشر للكنيسة الأقفية بالقاهرة، ص: 30-31

(2) "دائرة المعارف الكتابية"، م7، ص: 380

(3) "دليل إلى قراءة الكتاب المقدس"، الأب اصطفان شربنتيه، نقله إلى العربية الأب صبحي حموي اليسوعي، دار المشرق بيروت، ط3، ص: 73

(4) متى5/39

أ - إله حزين:

وقد حزن لأنه خلق الناس، فتأسف على ذلك: (وَرَأَى الرَّبُّ أَنَّ شَرَّ الإِنْسَانِ قَدْ كَثُرَ فِي الأَرْضِ وَأَنَّ كُلَّ تَصَوُّرِ أَفْكَارِ قَلْبِهِ إِنَّمَا هُوَ شِرِّيرٌ كُلَّ يَوْمٍ. 6فَحَزِنَ الرَّبُّ أَنَّهُ عَمِلَ الإِنْسَانَ فِي الأَرْضِ وَتَأَسَّفَ فِي قَلْبِهِ. 7فَقَالَ الرَّبُّ: «أَمْحُو عَنْ وَجْهِ الأَرْضِ الإِنْسَانَ الَّذِي خَلَقْتُهُ: الإِنْسَانَ مَعَ بَهَائِمَ وَدَبَّابَاتٍ وَطُيُورِ السَّمَاءِ. لأَنِّي حَزِنْتُ أَنِّي عَمِلْتُهُمْ)[1].

ب - إله لص

يأمر يهوه أتباعه بأن يسرقوا حلي المصريين وأمتعتهم، وأن لا يعيدوها ثم يهربوا بيها، وتصبح هذه الحلي ملكا لبني إسرائيل: (فَحَمَلَ الشَّعْبُ عَجِينَهُمْ قَبْلَ أَنْ يَخْتَمِرَ وَمَعَاجِنُهُمْ مَصْرُورَةٌ فِي ثِيَابِهِمْ عَلَى أَكْتَافِهِمْ. 35وَفَعَلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ بِحَسَبِ قَوْلِ مُوسَى. طَلَبُوا مِنَ الْمِصْرِيِّينَ أَمْتِعَةَ فِضَّةٍ وَأَمْتِعَةَ ذَهَبٍ وَثِيَاباً. 36وَأَعْطَى الرَّبُّ نِعْمَةً لِلشَّعْبِ فِي عُيُونِ الْمِصْرِيِّينَ حَتَّى أَعَارُوهُمْ. فَسَلَبُوا الْمِصْرِيِّينَ)[2].

ت - إله يشبه شارب الخمر

في سفر المزمور:(فَاسْتَيْقَظَ الرَّبُّ كَنَائِمٍ كَجَبَّارٍ مُعَيِّطٍ مِنَ الْخَمْرِ)[3]. فالرب حسب هذا السفر استيقظ من نومه محتقن العينين، فظهر كجبار ظل يعاقر الخمر)[4].

وبناء على هذه الصفات فلا أظن أن المسيحيين سيقبلون وصف المسيح بها لكونها تتنافى وتعاليم المسيح.

بعد هذا العرض، الذي بينت فيه أن يهوه هو إله بني إسرائيل، وأن نص سفر الخروج السالف الذكر لم يقصد بـ: "أهيه الذي أهيه"، الاسم يهوه، تكون النتيجة إذا، أن المسيح ليس هو يهوه، وعليه، لا توجد علاقة بين "أهيه الذي أهيه" حسب سفر الخروج و"أنا هو" أو "أنا كائن" الموجودة في الإنجيل.

وزيادة في الحجة والتوضيح وردا على بعض الأقوال أنتقل إلى الحديث عن عبارة "أنا هو" أو "أنا كائن" وذلك بناء على مجموعة من النصوص لكي أثبت مدى قدسية العبارة من عدمها.

ومن هذه النصوص أبدأ بنص محاكمة المسيح كما ورد في مرقس وهو كالآتي:(فَسَأَلَهُ رَئِيسُ الْكَهَنَةِ أَيْضاً وَقَالَ لَهُ: «أَأَنْتَ الْمَسِيحُ ابْنُ الْمُبَارَكِ؟» 62فَقَالَ

---

(1) التكوين6/5-7

(2) الخروج12/34-36

(3) المزمور78/65

(4) وللمزيد من المعلومات حول صفات يهوه ينظر كتاب: "الله أم يهوه؟ أيهما إله اليهود؟"، همو.

يَسُوعُ: «أَنَا هُوَ. وَسَوْفَ تُبْصِرُونَ ابْنَ الإِنْسَانِ جَالِساً عَنْ يَمِينِ الْقُوَّةِ)[1]. يعلق لويس بقوله: (لقد قال: أنا هو في لغتنا الجميلة أنا هو لا تعني شيئا يستوجب كل غضب رئيس الكهنة! لكن في اللغة الأصلية التي سمعها السامعون وقتها تعني اسم الجلالة الله)[2]. من خلال النص يتبين أن المسيح قال "أنا هو" ولم يقل "أنا الله" وبهذا يكون قول لويس تحريفا لمعنى النص. وهدفه من ذلك التأكيد على أن المسيح هو الله. لكن رغم ذلك فالنص واضح من خلال قول المسيح "أنا هو ومن الآن تبصرون ابن الانسان جالسا على يمين القوة"، فلو كان هو الله لما قال هذا الكلام.

ومن المفسرين من فسر النص على أساس بنوة المسيح لله وليس هو الله، بقوله: "إنهم لم يسألوا ما إذا كان المسيح ابن الله، لقد سألوا فقط ما إذا كان هو في الحقيقة ابن الله...لكنهم على يقين أن المسيح هو ابن الله"[3]. فهذا التفسير لم يقل إن عبارة "ego eimi" "أنا هو" تعني الله أو يهوه كما بينت آنفا عند بعض المسيحيين.

- نص متى: (وَفِيمَا هُمْ يَأْكُلُونَ قَالَ: «الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ وَاحِداً مِنْكُمْ يُسَلِّمُنِي». 22فَحَزِنُوا جِدّاً،وَابْتَدَأَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ يَقُولُ لَهُ: «هلطمكَلْ أَنَا هُوَ "" ego eimi يَا رَبُّ؟)[4]. النص يحتوي على عبارة أنا هو.

إن الذين يتشبثون بربط أنا هو "ego eimi" "بيهوه" ومن ثمة بالمسيح، فبناء على الترجمة اليونانية لعبارة "أنا هو"، هل يستطيعون أن يلطقوا على الذي سيسلم يسوع اسم "يهوه"؟ ما دامت العبارة التي قالها المسيح "أنا هو" هي نفسها التي قالها التلاميذ ونفس الترجمة كذلك في اليونانية. طبعا لن يقولوا بهذا أبدا، وعليه تكون عبارة أنا هو وفي أصلها اليوناني لا تحمل أي معنى يجعل منها كلمة مقدسة.

وأختم بآخر مثال لأهميته وهو نص يوحنا القائل: (فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «مَتَى رَفَعْتُمُ ابْنَ الإِنْسَانِ، فَحِينَئِذٍ تَفْهَمُونَ أَنِّي أَنَا هُوَ، وَلَسْتُ أَفْعَلُ شَيْئاً مِنْ نَفْسِي، بَلْ أَتَكَلَّمُ بِهَذَا كَمَا عَلَّمَنِي أَبِي. 29وَالَّذِي أَرْسَلَنِي هُوَ مَعِي، وَلَمْ يَتْرُكْنِي الآبُ وَحْدِي، لأَنِّي فِي كُلِّ حِينٍ أَفْعَلُ مَا يُرْضِيهِ)[5]. عبارة "أنا هو" الموجودة في النص، في الترجمة اليونانية ترجمت بـ: ego eimi. فإذا كان المسيح فعلا هو يهوه – أنا هو =ego eimi- فالنص يطرح مشكلة لقول المسيح: وَلَسْتُ أَفْعَلُ شَيْئاً مِنْ نَفْسِي، بَلْ أَتَكَلَّمُ بِهَذَا كَمَا عَلَّمَنِي أَبِي، وهذا دليل قاطع على أن عبارة: "أنا هو =ego eimi" لا تمت بصلة

---

(1) مرقس62/14

(2) "حقيقة إيماني"، لويس عبد الله، الناشر الكنيسة الإنجيلية القاهرة، ص: 77

(3) "التفسير المسيحي القديم للكتاب المقدس – العهد الجديد، الإنجيل كما دونه مرقس"، نقله من اللغات الأصلية الأب الدكتور ميشال نجم، منشورات جامعة البلمند، ص: 308-309

(4) متى26/21-22

(5) يوحنا8/28-29

ليهوه كما يعتقد البعض؛ لأنه من الصعب أن يكون معنى النص: فحينئذ تفهمون أنِّي يهوه، وفي المقابل يقول لهم لست أفعل شيئا من نفسي بل بما علمني أبي. فإذا كان هو يهوه فلا معنى لبقية النص غير أنه لم يكن كذلك.

ومن مجموع الأدلة السالفة الذكر عن يهوه تكون الخلاصة هي: إن المسيح عليه السلام ليس هو يهوه، أضف إلى ذلك أن يهوه إله بني إسرائيل، مجهول الاشتقاق والنطق، كما أن الاعتقاد بوجود صلة بين أنا هو ego eimi ويهوه لا تؤكدها النصوص بل تعارضها؛ فبطل إذا الاعتقاد: المسيح = يهوه.

2 - الرب

لقب الرب، يعتقد المسيحيون أنه دليل على ألوهية المسيح، مستدلين بنصوص يرونها حجة قوية لإثبات هذا الاعتقاد، وسأوضح هذه النصوص.

- نص قصة توما:

جاء في إنجيل يوحنا اعتراف توما بالمسيح ربا وإلها والنص بالضبط كما في يوحنا هو: (أَمَّا تُومَا، أَحَدُ الاِثْنَيْ عَشَرَ، الَّذِي يُقَالُ لَهُ التَّوْأَمُ، فَلَمْ يَكُنْ مَعَهُمْ حِينَ جَاءَ يَسُوعُ. 25فَقَالَ لَهُ التَّلاَمِيذُ الآخَرُونَ: «قَدْ رَأَيْنَا الرَّبَّ!». فَقَالَ لَهُمْ: «إِنْ لَمْ أُبْصِرْ فِي يَدَيْهِ أَثَرَ الْمَسَامِيرِ، وَأَضَعْ إِصْبِعِي فِي أَثَرِ الْمَسَامِيرِ، وَأَضَعْ يَدِي فِي جَنْبِهِ، لاَ أُومِنْ». 26وَبَعْدَ ثَمَانِيَةِ أَيَّامٍ كَانَ تَلاَمِيذُهُ أَيْضاً دَاخِلاً وَتُومَا مَعَهُمْ. فَجَاءَ يَسُوعُ وَالأَبْوَابُ مُغْلَقَةٌ، وَوَقَفَ فِي الْوَسْطِ وَقَالَ: «سَلاَمٌ لَكُمْ!». 27ثُمَّ قَالَ لِتُومَا: «هَاتِ إِصْبَعَكَ إِلَى هُنَا وَأَبْصِرْ يَدَيَّ، وَهَاتِ يَدَكَ وَضَعْهَا فِي جَنْبِي، وَلاَ تَكُنْ غَيْرَ مُؤْمِنٍ بَلْ مُؤْمِناً». 28أَجَابَ تُومَا وَقَالَ لَهُمْ: «رَبِّي وَإِلهِي!». 29قَالَ لَهُ يَسُوعُ: «لأَنَّكَ رَأَيْتَنِي يَا تُومَا آمَنْتَ! طُوبَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَرَوْا»)[1].

يعالج هذا النص حادثة قيام المسيح وظهوره للتلاميذ، وتوما لم يصدق لأنه لم يكون حاضرا في الظهور الأول، وقال – توما - للتلاميذ لا أؤمن إلا بشرط وهو: (فَقَالَ لَهُمْ: « إِنْ لَمْ أُبْصِرْ فِي يَدَيْهِ أَثَرَ الْمَسَامِيرِ، وَأَضَعْ إِصْبِعِي فِي أَثَرِ الْمَسَامِيرِ، وَأَضَعْ يَدِي فِي جَنْبِهِ، لاَ أُومِنْ. وبعد ثمانية أيام ظهر المسيح فقال المسيح لتوما: ثُمَّ قَالَ لِتُومَا: « هَاتِ إِصْبَعَكَ إِلَى هُنَا وَأَبْصِرْ يَدَيَّ، وَهَاتِ يَدَكَ وَضَعْهَا فِي جَنْبِي، وَلاَ تَكُنْ غَيْرَ مُؤْمِنٍ بَلْ مُؤْمِناً». 28أَجَابَ تُومَا وَقَالَ لَهُمْ: «رَبِّي وَإِلهِي!»).

فقول توما ربي وإلهي يعتقد المسيحيون أن ذلك يعد اعترافا بألوهية المسيح، يقول إبراهيم سعيد: "غالبا لم يجد توما داعيا إلى أن يلمس يدي المسيح ولا أن يضع يده في جنبه، بعد أن تحقق من كلامه له، أنه علام الغيوب"[2]. عندئذ لم يقتنع فقط

---

(1) يوحنا20/24-28

(2) سبق الرد عليهم فيما يخص علم المسيح بالغيب

بأن المسيح قام، بل أيقن أيضا أن المسيح المقام هو الرب الإله هاتان الكلمتان تقابلهما في العهد القديم كلمتا يهوه إلوهيم- السيد الرب، على أن توما لم يكتف بالقول إن المسيح رب وإله، بل أدخل نفسه في نسبة جديدة معه، فقال، موجها الكلام إلى المسيح بالذات ربي وإلهي"[1]. يقرر القس أن توما لم يلمس يد المسيح ولا وضعها في جنبه.

لكن الأسقف غريغوريوس خالف قول إبراهيم سعيد وأقر باللمس قائلا في تفسيره ليوحنا: "ومن الغريب أن توما بعد أن لمس بيديه أثر المسامير في يدي المخلص وقدميه ووضع يده في جنبه، يصرخ ويقول ربي وإلهي، فكيف قادت هذه الرؤية والملامسة توما إلى اعتراف صريح بالربوبية والألوهية لم يسبق إليه من قبل.. إنه بينة على أن توما لمس بيده نارا أحسها وهو يضع أصبعه في أثر المسامير في يدى المخلص وقدميه وفي جنبه. فلم يتمالك أن يصيح هذه الصيحة. لأنه لمس صدق قول الوحي الإلهي، إن إلهنا نار آكلة"[2].

هنا أجد الاختلاف الواضح بين المفسرين فالقس إبراهيم سعيد يؤكد أن توما لم يلمس المسيح، في حين أن الأسقف غريغوريوس يقول: "توما لمس يدى المسيح وقدميه والجنب أيضا، والغريب في الأمر وهذا ضد ايمانهم هو قوله لمس بيده نارا أحسها وهو يضع أصبعه لأن الله نار آكلة. بهذا القول يكون توما لمس اللاهوت ونتيجة هذا يجب أن يموت توما بناء على سفر الخروج "لأَنَّ الإِنْسَانَ لاَ يَرَانِي وَيَعِيشُ"[3]. إلا أن توما لم يمت وعليه يكون قول الأسقف مجرد اجتهاد منه لم يفلح فيه.

وعلى القولين فلا يُعلم هل لمس أم لا، وهذا ما يؤكده وليام ماكدونالد بقوله: "اقتنع توما. غير أننا لا نعلم هل وضع يده فعلاً في جنب الرب. لكنه عرف أخيراً أن يسوع قد قام وأنه هو الرب والإله في آن. عبر جون بويز John Boys عن هذا ببراعة بقوله لقد أقر توما بالألوهية التي لم يراها، من خلال الجروح التي رآها"[4]. وهو تفسير يعتبر ردا قويا على الأسقف غريغوريوس من قبل مسيحي مثله.

إذا، فبالإضافة إلى الاختلاف بين المفسرين في اللمس من عدمه، فالنص هو أيضا فيه مشكل؛ فقول المسيح لتوما: (هَاتِ إِصْبَعَكَ إِلَى هُنَا وَأَبْصِرْ يَدَيَّ، وَهَاتِ يَدَكَ وَضَعْهَا فِي جَنْبِي)، يفهم منه أنه فعلا لمس، لكن ماذا قال بعد إيمان توما؟ الجواب يقدمه نفس النص؛ قال له المسيح: (لأَنَّكَ رَأَيْتَنِي يَا تُومَا آمَنْتَ!)، المسيح استعمل لفظ

---

(1) "شرح بشارة يوحنا"، إبراهيم سعيد، ص: 831

(2) "تفسير إنجيل القديس يوحنا"، غريغوريوس، ج5، ص: 370

(3) سفر الخروج20/33

(4) "الإنجيل بحسب يوحنا"، وليم ماكونالد، بدون تاريخ طبع، ص: 565

رأيتني وليس لمستني. مما يجعل هذه القصة مشكوكا فيها، لأنه بناء على القول السابق ما دام طلب المسيح من توما اللمس فكان الأصل أن يكون قوله بعده لأنك لمستني. وهذا التناقض الحاصل في النص هو سبب تضارب أقوال المفسرين.

وبالنسبة لقول توما (ربي وإلهي)، فمعناه كما سلف عن إبراهيم سعيد أنه يعني يهوه إلوهيم. وقوله هذا تحريف للنص، والترجمات خير دليل على ذلك:

- الترجمة الإنجليزية:

:New World Translation of the Holy Scriptures
In answer Thomas said to him: "My Lord and my God!

- الترجمة الإنجليزية THE GOOD NEWS BIBLE:

Thomas answered him, My Lord and my God!.

إذا، فكلمة Lord تعني سيد، فتوما قال سيدي وإلهي وليس يهوه. والترجمات الإنجليزية خير دليل على هذا الأمر. والترجمة العبرية للعهد الجديد "اليديش" زادت الواضح وضوحا فلم تستعمل لفظ يهوه بل أدوني אֲדנִי. وهذا هو النص: (כח וַיַּעַן תּוֹמָא וַיֹּאמֶר אֵלָיו אֲדנִי וֵאלֹהָי). وتجدر الإشارة لفك الالتباس الذي قد يقع، لأن يهوه لا ينطقها اليهود لقدسيتها ويستعملون بدلا منها אֲדֹנָי، وعليه، فقد يقال إنها نفس الكلمة في ترجمة اليديش، إلا أن هناك فرقا؛ فالأولى- في يوحنا- أودني אֲדנִי ، والثانية – عند اليهود أدوناي אֲדֹנָי. وعليه تكون أودني بمعني سيدي[1] وأدوناي تعني الله[2]. وبهذه النصوص التي يقدسها القس إبراهيم سعيد وغيره، يكون كلام توما معناه سيدي وإلهي وليس يهوه إلوهيم كما يعتقد القس.

وهناك ملاحظة دقيقة حول ما تلفظ به توما، يقول الدكتور منقذ السقار: "وأما قول توما ربي وإلهي"، فهو لم يقع منه في مقام الخطاب للمسيح، بل لما رأى المسيح حيا"[3]، وقد كان يظنه ميتا استغرب ذلك، فقال متعجبا: ربي وإلهي، وهذا المعنى يكون غامضا في الترجمة العربية وغيرها من التراجم، لكنه واضح في الأصول اليونانية، وفيها ما يقرأ بالحروف الإنجليزية هكذا: apok-ree-nom- ahee ويعني (كانت ردة فعله) أي قوله "ربي وإلهي". ومما يؤكد صحة هذ الفهم أن المسيح أخبر

---

(1) "יחזקאל קוגמן، מילון עברי – ערבי"، ص: 10

(2) نفسه، ص: 10 -

(3) لا يعني هذا أنه فعلا المسيح قام من الموت ورآه توما، وإنما قال ذلك فقط تماشيا مع القصة في الإنجيل لا غير، لأن المسيح أصلا لم يصلب وعليه فلا يمكن توقع حدث القيامة.

في نفس السياق بأنه سيصعد إلى إلهه (أنظر يوحنا 17/20)[1] وعليه فالألوهية هنا لو أريد بها المسيح فهي مجازية غير حقيقية"[2].

وتعقيبا على قول منقذ السقار، أقول إن الترجمات الإنجليزية السالفة الذكر توجد بها علامة التعجب، ونفس الأمر بالنسبة لبعض الترجمات العربية كالعربية المشتركة واليسوعية:

- نص الترجمة العربية المشتركة: (فأجاب توما: ربي وإلهي!)
- نص الترجمة اليسوعية: (أجابه توما: ربي وإلهي!)

وقصة ظهور المسيح للتلاميذ لم ترد فقط في إنجيل يوحنا؛ وإنما وردت في كل من متى ومرقس ولوقا وكورنثوس الأولى، وهذا باب آخر يحتاج إلى بيان.

نص القصة في متى: (وَأَمَّا الأَحَدَ عَشَرَ تِلْمِيذاً فَانْطَلَقُوا إِلَى الْجَلِيلِ إِلَى الْجَبَلِ، حَيْثُ أَمَرَهُمْ يَسُوعُ. 17وَلَمَّا رَأَوْهُ سَجَدُوا لَهُ، وَلَكِنْ بَعْضُهُمْ شَكُّوا)[3]. النص يذكر أن التلاميذ الأحد عشر رأوا المسيح وبعضهم شكوا. لكن ماذا تقول تفاسيرهم عن النص؟

فسرت الموسوعة الكنسية النص بالقول: (وعندما ظهر لهم المسيح سجدوا له وفرحوا بلقائه، وإن كان أحدهم، وهو توما، قد شك عندما سمع من إخوته بظهوره لهم في العلية بيوم القيامة، ولكن المسيح ظهر مرة أخرى وهو معهم في العلية في الأحد الثاني للقيامة)[4].

وتعليقا على هذا التفسير أقول إن إنجيل متى لم يذكر سوى ظهور واحد للمسيح للتلاميذ بعد القيامة وليس كما ذكر يوحنا، ومتى أقدم كتابة من إنجيل يوحنا. وبناء عليه يكون توما كبقية التلاميذ قد شاهد المسيح في أول ظهور له.

يقول النص أيضا: (ولكن بعضهم شكوا)، والسؤال المطروح: من هم الذين شكوا؟ وهنا تباين في كلام المفسرين واضح.

- الموسوعة الكنسية قدمت تفسيرا مبهما دون فصل في الأمر بقولها: "كان هذا الشك تعبيرا عن الضعف البشري، مثلما حدث مع توما، ولكن المسيح أكد قيامته

---

(1) هذا هو النص الذي قال فيه المسيح أنه صاعد إلى إلهه: وَلَكِنِ اذْهَبِي إِلَى إِخْوَتِي وَقُولِي لَهُمْ: إِنِّي أَصْعَدُ إِلَى أَبِي وَأَبِيكُمْ وَإِلَهِي وَإِلَهِكُمْ

(2) "الله جل جلاله واحد أم ثلاثة"، السقار، ص: 29

(3) متى28/16-17.

(4) "الموسوعة الكنسية لتفسير العهد الجديد"، ، بشارتي متى ومرقص، إعداد وتفسير مجموعة من كهنة وخدام الكنيسة، نشر كنيسة مارمرقص القبطية مصر، ط1، 2004، ص: 298.

بظهوره عدة مرات حتى أمنوا"[1]. فهل شك التلاميذ، أم بعض التلاميذ؟ هذا ما لم تحدده الموسوعة.

- ر. ت. فرانس: خص الشك بالتلاميذ، بقوله: "بيد أن التجربة في مجموعها كانت غريبة ومفاجئة حتى إن بعضهم شكوا. وهذه العبارة الشهيرة لا يجب أن تفهم على أن بعضا من الأحد عشر رفضوا رفضا بصفة مطلقة، بل معناه أن البعض مثل توما، تأخر قليلا، عن الآخرين، في تقبل حقيقة قيام المسيح"[2]. هناك من يخالف هذا التفسير ويذكر كلاما بعيدا عن النص، يقول وليم أدي: "يدلنا ما ذكر في هذه الآية على أنه كان للمسيح تلاميذ غير الأحد عشر المذكورين آنفا، لأن الأحد عشر شاهدوه ونفوا شكوكهم[3] والأرجح أن الذين اجتمعوا بالمسيح في الجليل غير الأحد عشر"[4].

وتفسيره هذا مردود لأن إنجيل يوحنا أحال القصة نفسها على إنجيل متى، بمعنى نفس التلاميذ الذين تكلم عنهم يوحنا.

- أما تفسير متى المسكين، فذكر مجموعة من الآراء التي قيلت عن الذين شكوا، وهذا نصه: "تقول أحدث ترجمة لهذه الآية أن الأصح: ومع أنهم كانوا قد شكوا سابقا إلا أنهم سجدوا له وعبدوه. وقد حبَّذ هذا الترجمة القديس جيروم ومن بعده كثير من العلماء وهي الأقرب إلى الصواب.. كما يعطي بعض العلماء ترجمة أجمل، أن التلاميذ سجدوا وعبدوا ولكن بعضهم(غيرهم) شكوا. خصوصا وأنه في بدء الآية يقول: ولما رأوه فالذين رأوه عرفوا وسجدوا ولكن بعضهم مما لم يروه شكوا. وهي الترجمة الأوفق. ولكن أغلب المتمسكين بحرفية الإنجيل يجيزون إمكانية الرؤية والسجود والشك معا لعدم التأكد. وهذا جائز"[5].

إن الأب متى المسكين جمع مجموعة من الأقوال، ويظهر من كلامه أنه يسير معها في نفس الفهم، رغم اختلافها، مما يدل على أنه لم يستطع الأخذ بتفسير واحد. ثم إن هذه الأقوال تعتبر ضد القول بأن كتابة الكتاب المقدس كانت بوحي من الروح القدس؛ فمرة اعتبر الشك كان في البداية واعتبر ذلك أقرب ترجمة إلى الصواب. ومرة يأتي بقول مغاير للأول ويعتبره ترجمة أجمل، وبعدها تحدث عن أن الشك خاص بمن لم يروا وهي الترجمة الأوفق.

---

(1) نفسه.

(2) "التفسير الحديث للكتاب المقدس- إنجيل متى"، ر. ت. فرانس، نقله إلى العربية: أديبه شكري، راجعه: نكلس نسيم، نشر دار الثقافة القاهرة، ط1، ص: 459-460

(3) يوحنا20/ 20،27،28

(4) "الكنز الجليل في تفسير الإنجيل: إنجيل متى"، وليم أدي، صدر عن مجمع الكنائس في الشرق الأدنى بيروت 1973، ص: 336-337

(5) "الإنجيل بحسب القديس متى"، متى المسكين، ص: 836

- أما يعقوب ملطي فقال كلاما يفهم منه أن الظهور خاص بالتلاميذ الأحد عشر تلاميذ المسيح الذين اختارهم سابقا، يقول:"بعد قيامته رُؤي يسوع على الجبل في الجليل، هناك سجدوا له، ولكن بعضهم شكُّوا، وشكّهم هذا زوَّد إيماننا. ولعلّ اختيار الجليل كموضع لقاء للتلاميذ مع السيِّد المسيح القائم، يعني تجديد العهد، ففي الجليل اختار السيِّد غالبيّة تلاميذه وبعثهم للعمل الكرازي، وإذ ضعفوا أثناء أحداث الصليب ردَّهم إلى ذات الموضع يهبهم قوّة قيامته ليبدأوا من جديد، حاملين إمكانيّات جديدة"[1].

إذا فنص إنجيل متى يتحدث عن تلاميذ المسيح وأنهم سجدوا للمسيح لما ظهر لهم. وأن الشك لا يعني الرفض وإنما التردد أو التأخر في قبول هذا الظهور. وإهمال يوحنا لقضية شك التلاميذ وخصها بتوما فقط، يجعل إنجيل متى أقوى منه لأن شك بعض التلاميذ حصل بمجرد رؤيتهم الأولى بعد قيامته. وهذا تأكيد صريح أن توما شك كما شك البعض وفي المقابل شهد حضور المسيح أثناء الظهور الأول، مع العلم أن متى ذكر ظهور المسيح مرة واحدة للتلاميذ.

- نص القصة في إنجيل مرقس: (أَخِيراً ظَهَرَ لِلأَحَدَ عَشَرَ وَهُمْ مُتَّكِئُونَ، وَوَبَّخَ عَدَمَ إِيمَانِهِمْ وَقَسَاوَةَ قُلُوبِهِمْ، لأَنَّهُمْ لَمْ يُصَدِّقُوا الَّذِينَ نَظَرُوهُ قَدْ قَامَ. 15 وَقَالَ لَهُمْ: «اذْهَبُوا إِلَى الْعَالَمِ أَجْمَعَ وَاكْرِزُوا بِالإِنْجِيلِ لِلْخَلِيقَةِ كُلِّهَا)[2]. مرقس مثل متى تحدث عن ظهور واحد للمسيح، وعبر عن شك التلاميذ بلفظ عدم التصديق.

- نص القصة في إنجيل لوقا: إنجيل لوقا هو نفسه تحدث عن الظهور وأن المسيح علم بشك التلاميذ[3]، يقول النص: (وَفِيمَا هُمْ يَتَكَلَّمُونَ بِهَذَا وَقَفَ يَسُوعُ نَفْسُهُ فِي وَسَطِهِمْ، وَقَالَ لَهُمْ: «سَلاَمٌ لَكُمْ!» 37فَجَزِعُوا وَخَافُوا، وَظَنُّوا أَنَّهُمْ نَظَرُوا رُوحاً. 38فَقَالَ لَهُمْ: «مَا بَالُكُمْ مُضْطَرِبِينَ، وَلِمَاذَا تَخْطُرُ أَفْكَارٌ فِي قُلُوبِكُمْ؟ 39 اُنْظُرُوا يَدَيَّ وَرِجْلَيَّ: إِنِّي أَنَا هُوَ! جُسُّونِي وَانْظُرُوا، فَإِنَّ الرُّوحَ لَيْسَ لَهُ لَحْمٌ وَعِظَامٌ كَمَا تَرَوْنَ

---

(1) http://st-takla.org/pub_Bible-Interpretations/Holy-Bible-Tafsir-02-New-Testament/Father-Tadros-Yacoub-Malaty/01-Engeel-Matta/Tafseer-Engil-Mata__01-Chapter-27.html

(2) مرقس16/14-15

(3) يكون إنجيل يوحنا إذا قد انفرد لوحده بقصة المسيح مع توما، ولم تتطرق لها الأناجيل الأخرى، مع العلم أن دونت كلها قبله، مما يؤكد أن يوحنا يكون قد اختلق القصة لتقديمها حجة على ألوهية المسيح، إلا أن القصة نفسها لا تنبني على أساس قوي، هذا مع الأخذ في الحسبان أن كاتب الإنجيل الرابع مجهول ، فكيف تبنى العقيدة على أقوال مجهول كاتبها. ينظر مقدمة الترجمة اليسوعية فيما يخص تاريخ إنجيل يوحنا لمن أراد التوسع أكثر

لِي». 40 وَحِينَ قَالَ هَذَا أَرَاهُمْ يَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ. 41 وَبَيْنَمَا هُمْ غَيْرُ مُصَدِّقِينَ مِنَ الْفَرَحِ، وَمُتَعَجِّبُونَ، قَالَ لَهُمْ: «أَعِنْدَكُمْ هَهُنَا طَعَامٌ؟» 42 فَنَاوَلُوهُ جُزْءاً مِنْ سَمَكٍ مَشْوِيٍّ، وَشَيْئاً مِنْ شَهْدِ عَسَلٍ)[1].

- نص رسالة كرونثوس الأولى: (وَأَنَّهُ ظَهَرَ لِصَفَا ثُمَّ لِلاَثْنَيْ عَشَرَ. 6وَبَعْدَ ذَلِكَ ظَهَرَ دَفْعَةً وَاحِدَةً لأَكْثَرَ مِنْ خَمْسِمِئَةِ أَخٍ أَكْثَرُهُمْ بَاقٍ إِلَى الآنَ)[2].

هذا النص كذلك اختلفت تفسيرات المسيحيين له، وبيان ذلك كالآتي:

- تفسير وليم أدي يقول: "الاثني عشر صار هذا اسما لجماعة الرسل باعتبار العدد الأصلي ثم أطلق عليهم بقطع النظر عنه. فإنهم لم يكونوا يوم هذا الظهور سوى عشرة لأن يهوذا كان قد هلك وتوما لم يكن معهم"[3]. ويُرد عليه لماذا في كل من متى ومرقس ولوقا ويوحنا لم يستعمل تعبير الاثني، ثم إنه ليس في هذا النص ما يدل على عدم وجود توما. إضافة إلى أن بولس يتحدث لأهل كورنثوس عن ظهور المسيح بشكل عام.

- تفسير يعقوب ملطي، يذكر نفس قول وليم أدي فيما يخص تعبير الاثني عشر، إلا أنه لم يستثن توما، يقول: "تعبير" الاثني عشر "لا يعني العدد رقم 12، إنما يحمل إشارة إلى التلاميذ كجماعة معًا، وقد دعوا هكذا حتى بعد خيانة يهوذا، حيث اختير فيما بعد الثاني عشر، وكان شاهدًا لقيامة السيد المسيح. غالبًا ما كان متياس الذي اختير فيما بعد عوض يهوذا الإسخريوطي حاضرًا معهم (أع 1: 22- 23)"[4].

فهذا التفسير، بالإضافة إلى عدم استثناء توما من الاثني عشر مخالفا بذلك قول وليم أدي؛ فقد أضاف أمرا آخر وهو اختيار متياس عوضا عن يهوذا وأنه كان حاضرا معهم. وفي الحقيقة يعتبر هذا تناقض في كلام المفسر؛ لأنه لو كان تعبير الاثني عشر خاصا باسم التلاميذ باعتبار العدد الأصلي، فلا معنى إذا لقوله إن اختيار متياس تكملة للاثني عشر.

وللإيضاح أكثر أرجع إلى نص سفر أعمال الرسل الذي أحال عليه يعقوب ملطي وهو: (مُنْذُ مَعْمُودِيَّةِ يُوحَنَّا إِلَى الْيَوْمِ الَّذِي ارْتَفَعَ فِيهِ عَنَّا يَصِيرُ وَاحِدٌ مِنْهُمْ شَاهِداً مَعَنَا بِقِيَامَتِهِ». 23 فَأَقَامُوا اثْنَيْنِ: يُوسُفَ الَّذِي يُدْعَى بَارْسَابَا الْمُلَقَّبَ يُوسْتُسَ

---

(1) لوقا24/36-42

(2) كورنثوس15/5

(3) "الكنز الجليل في تفسير الإنجيل: شرح الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس"، وليم أدي، صدر عن مجمع الكنائس في الشرق الأدنى بيروت 1973، ص: 143.

(4) http://st-takla.org/pub_Bible-Interpretations/Holy-Bible-Tafsir-02-New-Testament/Father-Tadros-Yacoub-Malaty/07-Resalet-Coronthos-1/Tafseer-Resalat-Koronthos-1__01-Chapter-15.html#1._قيامة_المسيح_وقانون_الإيمان

وَمَتَّيَاسَ. 24 وَصَلَّوْا قَائِلِينَ: «أَيُّهَا الرَّبُّ الْعَارِفُ قُلُوبَ الْجَمِيعِ عَيِّنْ أَنْتَ مِنْ هَذَيْنِ الاثْنَيْنِ أَيًّا اخْتَرْتَهُ 25 لِيَأْخُذَ قُرْعَةَ هَذِهِ الْخِدْمَةِ وَالرِّسَالَةِ الَّتِي تَعَدَّاهَا يَهُوذَا لِيَذْهَبَ إِلَى مَكَانِهِ». 26ثُمَّ أَلْقَوْا قُرْعَتَهُمْ فَوَقَعَتِ الْقُرْعَةُ عَلَى مَتَّيَاسَ فَحُسِبَ مَعَ الأَحَدَ عَشَرَ رَسُولاً)[1].

فمتى تم اختيار متياس شاهدا لقيامة المسيح؟

حسب قول يعقوب ملطي يكون متياس قد اختير قبل ظهور المسيح؛ لقوله السالف: حيث اختير فيما بعد الثاني عشر، وكان شاهدًا لقيامة السيد المسيح. غالبًا ما كان متياس الذي اختير فيما بعد عوض يهوذا الإسخريوطي حاضرًا معهم. والدليل قول النص كونثيوس (وَأَنَّهُ ظَهَرَ لِصَفَا ثُمَّ لِلاثْنَيْ عَشَرَ). أي أن متياس كان محسوبا ضمن الأثنا عشر قبل الظهور.

لكن نص أعمال الرسل السابق يدحض القول بأن متياس يعتبر ضمن الأحد عشر قبل الظهور؛ لأن اختياره جاء بعد صعود المسيح[2]. ويؤكد هذا الأمر الأنبا متاؤس بقوله: " وبعد صعود السيد المسيح اختار التلاميذ يوستس ومتياس وألقوا قرعة ليختاروا مَنْ يحل مكان يهوذا بعد خيانته ثم ألقوا قرعتهم فوقعت القرعة على متياس فحُسب مع الأحد عشر رسولًا"[3].

ومن ثمة فهناك تناقض في قولهم فيما يخص تعبير الاثني عشر؛ فوليم أدي لم يشر إلى متياس إطلاقا، وغيره حسب متياس من بين التلاميذ، مع العلم أن هناك اختلافا بين النصوص. فنص كورثنيوس اعتبره من بين الاثني عشر الذين شاهدوا ظهور المسيح، ونص أعمال الرسل يقول العكس، أي إن متياس لم يعتبر تلميذا إلا بعد صعود المسيح.

وهناك نقطة أكثر من مهمة تتعلق بنص كورنثيوس؛ الذي يقول فيه إن المسيح ظهر للأحد عشر وليس للاثني عشر. والنص هذا موجود في كل من ترجمة1671 وترجمة وليم واطس.

* نص ترجمة 1671: (وترايا للصفاة ثم بعده للأحد عشر).
* نص ترجمة وليم واطس: (وترايا للصفاة ثم بعده للأحد عشر).

---

(1) أعمال الرسل1/22-26.

(2) لأن سفر أعمال الرسل1/12-14، ذكر أسماء التلاميذ الذي شاهدوا المسيح بعد القيامة بالجليل، ولم يذكر متياس.

(3) "أسماء السبعين رسولًا" – الأسقف الأنبا متاؤس، نشر مكتبة دير السيدة العذراء مريم، ط3، ص: 33-34.

من خلال هذه النصوص، يكون المسيح قد ظهر لتلاميذه الأحد عشر فقط، مما يعني أن قصة مثياس لا وجود لها، وإنها ذلك زيادة في النص فبطل بهذا قول يعقوب ملطي، وبطل أيضا قول وليم أدي الذي نفى وجود توما وتشبث بتعبير الاثني عشر أنه بحكم الأصل الأول أي عددهم اثنا عشر.

ويعتبر سفر أعمال الرسل حجة قوية ومدعمة لهاتين الترجمتين، وذلك بذكره لأسماء التلاميذ الأحد عشر بعد صعود المسيح، يقول: (فرَجَعوا إلى أُورَشَليمَ مِنَ الجَبَل الَّذي يُقالُ له جَبَلُ الزَّيتون، وهُو قَريبٌ مِن أُورَشَليم على مَسيرةِ سبْتٍ مِنها. 13ولَمَّا وَصَلوا إلَيها صَعِدوا إلى العُلِّيَّةِ الَّتي كانوا يُقيمونَ فيها، وهُم بُطرُس ويوحَنَّا، ويَعْقوب وأندَراوُس، وفيلِبُّس وتوما، وبَرثُلُماوُس ومَتَّى، ويَعْقوبُ بنُ حَلْفى وسِمْعانُ الغَيور، فيَهوذا بنُ يَعْقوب. 14وكانوا يُواظِبونَ جَميعًا على الصَّلاةِ بِقَلْبٍ واحِدٍ)[1].

وخلاصة القول فيما يخص قصة المسيح وتوما، يتضح مدى التناقض بين النصوص والتفاسير المسيحية، إذ لم يقدموا تفسيرا واحد مقنعا، بل بالعكس إن ما قدموه زاد في كشف مدى تلاعبهم في النصوص وتعسفهم في تفسيرها.

وإن مناقشتي لهم وبيان ما تخفيه مصادرهم ومراجعهم من اختلافات واضحة ومتباعدة ومتناقضة، لا يعني ذلك أني أبحث من أجل الوصول إلى نص أو تفسير مقبول ومقنع حول ظهور المسيح؛ لأن ذلك يعتبر اعترافا بقصة الصلب التي عليها ينبني ظهور المسيح، في حين أن المسيح عليه السلام لم يصلب أصلا، مما يعني أن قصة الظهور باطلة لبطلان الأصل. ولعل هذا هو مفتاح السر لذلك الحجم من التناقضات.

من النصوص كذلك التي تعتبر حجة عند المسيحيين في إطلاقهم الرب على المسيح، فقد ذكر الشماس سامح حلمي تحت عنوان ألقاب السيد المسيح ألقابا إلهية منها ما جاء في ثيموثاوس وهو: (الَّذِي سَيُبَيِّنُهُ فِي أَوْقَاتِهِ الْمُبَارَكُ الْعَزِيزُ الْوَحِيدُ، مَلِكُ الْمُلُوكِ وَرَبُّ الأَرْبَابِ)[2]. ويكفي لدحض هذا القول وبدون أي تكلف بنص للقمص مينا جاد جرجس إذا يقول: "وقد عرف المصريون القدماء التراتيل الدينية فقد ورد في سفر الموتى. إليك البعض منها: المجد لله العظيم ملك الأزلية والأبدية الذي استوى ابنه معه على العرش، بك تزدهي الدنيا، وأنت المسير لكل شيء، أنت القدير ولك الكرامة

(1) أعمال الرسل1/12-14.

(2) رسالة ثيموثاوس الأولى6/15.

يا ملك الملوك ورب الأرباب وأمير الأمراء. أنت النور وأنت الروح الشامل لجميع الأشياء"[1].

وهكذا فنص ثيموثاوس لم يأت بجديد بحكم سبق المصرين القدماء في قولهم بملك الملوك ورب الأرباب. وهو ما يفتح القول بأن نص ثيموثاوس مستوحى من ديانة قدماء المصرين. وهذا ما يؤكده القمص بقوله: "بل قل معي إن الديانة المصرية القديمة كانت ظلا للديانة المسيحية قبل ظهورها"[2].

(1) "كنيستي عقيدة وإيمان"، جاد جرجس، ص: 135.

(2) "كنيستي عقيدة وإيمان"، جاد جرجس، ص: 136.